Arab tribes between politics and belief "Assad" led by Taliha bin Khuwaylid al-Asadi is a model

Dr. Youssef Zarda*

(Received 13 / 12 / 2023. Accepted 19 / 2 / 2024)

□ ABSTRACT □

This research consists of two main parts, the first of which traces the facts or processes of the Arab tribes' entry into Islam in general on the basis of "they converted to Islam and they are safe," then their exit from it when they were able to do so, then their return to it when they were forced to follow the rule of their entry into it before. The basis of the second of them is to trace the events of the entry of the "Asad" tribe into Islam under the leadership of Taliha al-Asadi, who personally led its revolution against the Islam that brought it into it, and his joining - after that - his tribe that had been returned to Islam before him, forced on the basis of its entry into it before; The rule of "convert to Islam and you will be safe". The first part of this research served as a prelude to the second part of it, represented by shedding light on the biography of a scholar from the tribe of "Asad" who achieved such fame and fame that he became the talk of the decision-makers in the Islamic State, at a pivotal stage in its history, represented by the period of the Prophet's illness, which He died there, and authority was transferred to Abu Bakr, which led to the Arab tribes declaring their rebellion against the Prophetic state, which imposed on Asad and her fellow Arab tribes the payment of what was called the zakat obligation on their money in favor of what these tribes considered a Quraysh state, not an Arab Islamic state.

Since Tuliha bin Khuwaylid al-Asadi was one of the most prominent leaders of this rebellion, we sought in this research to identify his motivations for the rebellion first, then his moral and material qualifications that enabled him to lead a disobedience movement that received broad support from many Arab tribes. At its head is the Asad tribe. We came - after that - to mention the facts or the course of this disobedience, accompanied by those facts with what indicated the qualities that qualified Taliha to lead this revolutionary movement, which was aware of the interests of the opposition tribes, according to the terminology of the era, and expressed them clearly and without ambiguity or flattery, as he did. An attempt by the Quraysh Among all the tribes, investing in religion, so it was proven that their eagerness and insistence on collecting zakat from other tribes was nothing but a robbery of the funds of these tribes.

As for Tulaiha's qualifications to lead the rebellion movement against the Prophet's state, we have mentioned what confirms this man's courage, composure, and skill that was refined by the battles and wars he fought in many stages of his life. We have also mentioned what confirms his moral qualifications. Represented by his poetry and eloquence He captivated the hearts of his listeners with it, so they did not hesitate to honor and venerate him to the point of elevating his status to the ranks of saints. Rather, it was the prophets whom God had honored with penetrating, penetrating insight that showed him far beyond what others saw, and enabled him to anticipate some of what was coming. Some of them included him among the prophets whom God had bestowed wisdom on. A sound opinion and the ability to say what cannot be said - from the point of view of its followers - by an ordinary person. Which made these followers not hesitate to call Taliha a prophet to whom revelation was given.

Keywords: Asad tribe, Tuliha bin Khuwaylid, convert to Islam, convert to Islam, Al-Qadisiyah, Nahawand.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Assistant professor in the Arabic Language Department at the Faculty of Arts and Human Sciences at Tishreen University.**

القبائل العربية بين السِّياسة والعقيدة
"أسد" بزعامة طليحة بن خويلد الأسديّ أنموذجاً

د. يوسف زردة*

(تاريخ الإيداع 13 / 12 / 2023. قبل للنشر في 19 / 2 / 2024)

□ ملخّص □

يتألف هذا البحثُ من قسمين رئيسين، قوامُ أوَّلهما تتُّبعُ وقائعِ أو مجرياتِ دخولِ القبائلِ العربيةِ بعامّةٍ في الإسلامِ على قاعدةِ " أسلموا تسلموا "، ثم خروجِها منه عندما سَنَحَتْ لها الفرصة، ثمَّ عودتِها إليه مُرْغمةً على قاعدةِ دخولِها فيه من قبلُ. وقوام ثانيهما تتبُّعُ وقائعِ دخولِ قبيلةِ "أَسَد" في الإسلام بزعامة طليحةَ الأسديِّ، الذي تزعَّم بنفسه ثورتَها على الإسلامِ الذي أدخلَها فيه، والتحاقِه ـ من ثمَّ ـ بقبيلتِهِ التي أُعيدَتْ قبلَهُ إلى الإسلام مُرْغَمةً على قاعدةِ دخولِها فيه من قبلُ؛ قاعدةِ "أسلموا تسلموا" أيضاً. فكان القسمُ الأوّلُ من هذا البحثِ بمنزلةِ التمهيدِ للقسمِ الثاني منه مُمَثَّلاً بتسليطِ الضوءِ على سيرةِ عَلَمٍ من أعلامِ بني "أَسَد"، علا شأنُه، وازدادَ خطرُهُ، وأصابَ من الشُّهرةِ، وذيوعِ الصِّيتِ، ما جعلَهُ حديثَ أصحابِ الكلمةِ الفصلِ في الدّولةِ العربية الإسلاميّةِ، في مرحلة مِفصَليّة من تاريخها، مُمَثَّلةً في فترةِ مرضِ الرسولِ مرضَه الذي ماتَ فيه، وانتقالِ السّلطةِ فيها إلى أبي بكر، الأمرُ الذي أدّى إلى إعلانِ القبائل العربية تمرُّدَها على الدّولة النَّبوية التي فَرَضَتْ على "أَسَد" وأخواتِها من القبائل العربية دفعَ ما سُمِّيَ بزكاةِ أموالِها لصالح ما عَدَّتْهُ هذه القبائلِ دولةً قرشيّةً بامتياز، لا دولةً عربيةً، أو عربيّةً إسلاميّة.

ولمّا كانَ طليحةُ بنُ خُوَيْلِدٍ الأسديُّ أحدَ أبرزِ قادةِ هذا التَّمرُّدِ عُنِيْنا في هذا البحثِ بالتَّعرّفِ على بواعثِهِ على التَّمرُّد أولاً، ثم مُؤَهِّلاتِهِ المعنويّةِ والماديّةِ التي مَكَّنتهُ من تَزَعُّمِ حركةِ عصيانٍ حَظِيَتْ بتأييدٍ واسعٍ من قبائلَ عربيةٍ كثيرةٍ، على رأسها قبيلتُهُ "أَسَد". وجئنا ـ بعد ذلك ـ على ذكرِ وقائعِ أو مجرياتِ هذا العصيانِ مشفوعةً بما دلَّ على الخِصالِ التي أهَّلَتْ طليحةَ لتزعُّمِ هذا الحَراكِ الثَّوريِّ الذي وَعَى مصالحَ قبائلِ المُعارَضَةِ، بحسب مصطلحاتِ العصرِ، وعبَّرَ عنها بوضوحٍ لا مُواربةَ فيه أو مُداهَنَةٍ، كما وَعَى محاولةَ قريشٍ وثقيفٍ من بين القبائلِ جميعِها، الاستئثارَ في الدّين، فأثبتَ أنَّ حرصَهما، ولاسيمّا حرصَ قريشٍ منهما، وإصرارَها على تحصيل الزَّكاة من القبائلِ الأخرى، لم يكنْ إلّا سَطْواً على أموالِ هذه القبائلِ، بذريعةِ أنَّ تحصيلَ هذه الأموال فريضةٌ من الله، لا سبيلَ إلى التّنازل عنها.

أمّا بالنِّسبة إلى مُؤَهّلاتِ طليحةَ لتزعُّم حركةِ التَّمرُّدِ على الدّولةِ النَّبويّة، فقد أتينا على ذكرِ ما يؤكِّدُ شجاعةَ هذا الرجل، ورباطةَ جأشِهِ، وحِنْكتَهُ التي صقلتْها المعاركُ والحروبُ التي خاضَها في كثيرٍ من مراحلِ حياتِهِ، كما أتينا على ذكر ما يؤكّدُ مؤهِّلاتَهُ المعنويةَ ممثَّلةً بشاعريتِهِ وبلاغتِهِ التي فَتَنَ بها ألبابَ سامعيه، فلم يتردَّدوا لذلك في تشريفه وتعظيمه إلى درجة الارتقاء بمقامه إلى مصافِّ القدِّيسين، بل الأنبياءِ الذين أكرمهم الله ببصيرةٍ نافذةٍ ثاقبةٍ أَرَتْهُ أبعدَ ممّا يراه الآخرون، وأمْكَنَتْهُ من استشرافِ بعض ما هو آتٍ، فألحقه بعضهم بالأنبياءِ الذين مَنَّ اللهُ عليهم بالحِكمة، والرأي السَّديد، والقدرةِ على قول ما لا يمكنُ صدورهُ ـ من وجهةِ نظر أتباعه ـ عن إنسانٍ عاديٍّ؛ الأمر الذي جعل هؤلاء الأتباعَ لا يتردَّدون في النَّظر إليه بوصْفِهِ نبيّاً يُوْحَى إليه.

الكلمات المفتاحيّة: قبيلة أسد، طليحة بن خويلد، أسلموا تسلموا، القادسية، نهاوند.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*أستاذ مساعد ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.

مقدمة:

إذا لم يكن ثمّة بدٌّ من تأثّرِ الإنسانِ بالأحداثِ من حوله، فإنَّ هذا الإنسانَ ـ ولا سيَّما إذا كان من خاصّةِ القومِ والكبراءِ فيهم ـ لا يقبلُ بأقلَّ من السعيِ ـ بقدر استطاعته ـ إلى أن يكونَ مؤثِّراً في هذه الأحداث أيضاً، لا متأثِّراً بها وحسبُ. وإذا كانَ هؤلاء الخَواصُّ والكبراءُ من الكَثرةِ بمكانٍ في تاريخنا وتراثنا العربيين، فإنَّ طليحةَ بنَ خُويلدٍ الأسديَّ واحدٌ منهم لا مَراءَ؛ لأنَّهُ كان في جاهليَّته سيِّداً في قومه، وعندما أُرغِمَ على الدخول في الإسلام، أَبَى ـ كما سيبينُ لنا ـ إلّا أن يكونَ ـ كما كان عَلَماً في الجاهليينَ ـ عَلَماً في المسلمينَ، يُشارُ إليه بالبنان، لِما أدّاهُ ـ وهو في صفوفهم ـ من أدوارٍ كان لها أثرٌ واضحٌ في أحداثٍ جسامٍ، لم تقفْ آثارُها عند حدود شبه الجزيرة العربية، إنمّا تعدّت ذلك إلى التأثير في تاريخ الامبراطوريّة الفارسيّة نفسِها، التي كانت، ولمْ تزلْ مُمَثَّلةً بوريثتِها " إيران اليوم "حتى أيامنا هذه، أعتى خصومِ العرب، أو معظمِهِم على الأقلّ. وإليكَ ممّا سنذكرُهُ من وقائع ومجريات دخول القبائل العربية في الإسلام، ثمَّ خروجِها منه، ثمَّ عودتِها إليه ما يقومُ دليلاً على أنَّ إسلام هذه القبائل إنما كانَ إسلامَ إذعانٍ، لا إسلامَ إيمانٍ، أو إسلاماً سياسيّاً لا عقديّاً. وإليكَ أيضاً من مفردات سيرةِ طليحةَ في جاهليّته وإسلامه، وما بينهما مُمَثَّلاً بفترة خروجه من الإسلام، ما يدلُّ ـ بحسب اعتقادنا ـ دلالةً بيِّنةً على ما تمتَّع به هذا الرّجل الفَذُّ من صفاتِ الفارسِ الشُّجاعِ، الذي حَنَكَتْهُ التَّجاربُ، والشاعرِ المطبوع غير المُتَكَلِّف، والخطيب المُفوَّهِ، القادرِ على التعبير عمّا يريدُهُ بوضوحٍ، بألفاظٍ جَزْلَةٍ واضحةٍ، لا غرابةَ فيها، وعبارةٍ رصينةٍ، ويدلُ أيضاً على ما تمتَّع به من صفاتِ المفكِّرِ المُتأمِّلِ جيّداً فيما يسمعُهُ ويراهُ، ليُبديْ في ذلك كلِّه رأياً سديداً رشيداً ميَّزَهُ عن سواهُ من أفراد مجتمعه، وأهَّلَهُ للارتقاءِ ـ بالنسبة إلى الكثيرين منهم ـ إلى مصافِّ القدِّيسينَ الذين أكرمهم الله ببصيرةٍ نافذةٍ ثاقبةٍ، أرتْهُ أبعدَ ممّا رأتْ أعينُ المحيطينَ به، وأمْكَنَتْهُ ـ في كثير من الأحيان ـ من استشرافِ بعضِ ما هو آتٍ، فألْحَقَهُ بعضُ المُعْجبين به بالأنبياء الذين لم يختلفوا عنه ـ من وجهة نظرهم ـ في شيءٍ، فكان طليحةُ ـ بالنسبة إلى الكثيرين منهم ـ جديراً بالنُّبُوَّةَ جدارةَ خالدِ بنِ سنانٍ العَبسيِّ بها[1]، بل جدارةَ النَّبيِّ القُرَشيِّ نفسِهِ بها. وحسْبُنا السعْيُ ـ في هذا البحث ـ إلى تسليط الضوء على ما يُجَلّي ذلك كلَّه.

أهمية البحث وأهدافه

لقد أردنا من هذا البحث إثباتَ سعيِ أصحاب الأمر والنفوذ في الدولة الإسلامية منذ أنشأها الرسول إلى الاستثمار في الدين، وتوظيفه لتحقيق مصالحهم السياسية والاقتصادية، الأمرُ الذي يعني أنَّ ما يُسَمُّونَهُ بالإسلامِ السّياسيِّ قد وُجِد ـ كما سيبينُ لنا ـ مُنذُ وُجِدَ الإسلامُ العَقَديُّ. كما قصدنا إلى إثبات أنَّ ما سُمِّيَ بالرِّدَّة عن الدِّين الإسلامي، إنّما هو ثورةٌ على القانون الاقتصادي الذي فرضته الدولةُ النَّبويّةُ، بل دولةُ الإسلامِ السّياسيّ، على القبائل العربية باستثناءِ قريشٍ وثقيفٍ اللَّتينِ ينتمي إليهما معظمُ جُباةِ أموالِ الزّكاةِ من هذه القبائلِ التي أسلَمَتْ على قاعدة "أسلموا تسلموا"، فكان إسلامُها إسلامَ سياسةٍ، أو إذعانٍ سياسيٍّ، لا إسلامَ عقيدةٍ أو دينٍ؛ الأمر الذي عَنَى بالنسبة إلينا أنَّ خروجَ هذه القبائلِ من الإسلامِ إنّما كان خروجاً على الدولةِ، لا خروجاً من الدين، أو ارتداداً عن العقيدة التي جاء بها هذا الدينُ، إذا

[1]ـ من آيات نُبُوَّتِهِ أنّه قد حفرَ بئراً وأقْحَمَ فيه ناراً عظيمةً في الجاهليّة عُرِفَتْ بنار الحَرَّتين، كادت أن تلتهم مضاربَ بني عبس، وما جاورها من القبائل، فأقحمها خالدُ في البئر التي حفرها، فلمّا غاب في البئر ظنَّ القومُ أنّه هلكَ، ولكنه خرجَ منها، ولم ينلْهُ أدنى أذى، فنُبِهتَ قومُهُ لمّا خرجَ من النار سليماً مُعافى، فأوصاهم أنْ يأتوا قبرَهُ بعد وفاته بثلاثة أيام، ويُخْرجوه منه، ويسألوه عمّا يشاؤونه، ليُجيبهم على ما يسألونه، ولكنَّ ابنَهُ "عبد الله "رفض نبشَ جثمانه من القبر حتّى لا يُغَيَّرَ في الناس بابن المنبوش، فأضاعَهُ بذلك قومُه. فوصفه الرسولُ الكريم لذلك بقوله: إنّه نبيٌّ ضَيَّعَهُ قومُه. انظر تفاصيلَ هذا الخبر في كتاب الحيوان للجاحظ:497/4. وانظره أيضاً في ثمار القلوب للثَّعالبي:573، حديث رقم 943.

استثنينا فريضةَ الزكاة التي جعلها حكّامُ الدولةِ الإسلاميّةِ قوامَ العقيدةِ، وعمودَها الفِقْريَّ، فلم يقبلوا من الناس صلاتَهم ما لم يشفعوها بدفعِهِمُ زكاةَ أموالهم.

منهجية البحث:

اعتمدنا في هذا البحث المنهجَ التاريخيَّ التحليليَّ، بوصفه بحثاً في تأريخ دخول القبائل العربية في الإسلام أوّلاً، ثمَّ في تراجم الأعلام الذي يقوم بالدرجة الأولى على تتبُّع نشاطِ طُليحةَ الأسديِّ، "الموضوع الرَّئيس لهذا البحث"، وقراءةِ ما يصدرُ عنه من أقوال أو أفعال قراءةً تحليليةً، قوامُها وضعُ قولٍ أو فعلِ طُليحةَ في سياقِهِ من الأحداثِ والظُّروفِ التي أنتجتْهُ، ثمَّ الحكمُ عليه بوصفه وليدَ هذه الأحداثِ والظّروفِ التي لا يجوزُ الحُكمُ عليه إلّا في ضوئها، وبِوَحْيٍ منها وحسْبُ؛ فما كان صواباً بالأمسِ في سياقٍ بعينه، قد يكونُ عينَ الخطأ اليوم في سياقٍ آخرَ غيرِه، والعكسُ ـ بالضَّرورةِ ـ صحيحٌ.

قريشٌ تُؤسِّسُ دولةَ الإسلامِ السِّياسيِّ، من بابِ إرغامها على الدخولِ في الإسلامِ على قاعدة "أسلموا تسلموا":

لقد حَسَمَ إسلامُ قريشٍ في السَّنة الثامنة للهجرة غِبَّ دخولِ الرسولِ مَكَّةَ، الصّراعَ بينَ المسلمين مُمَثَّلينَ ـ على نحوٍ رئيس ـ بالمهاجرين والأنصار من جهةٍ، وغيرهم من أبناء القبائل العربية من جهةٍ أخرى، فتقاطرت إلى المدينة ـ بعد وصول الرسول إليها، عائداً من مكَّةَ ـ وفودُ القبائل العربية التي عَرَفَتْ "بعد أنْ أسلمتْ قريشُ، أنْ لا طاقةَ لها بحرب الرسول، ولا عداوته، فدخلت ـ لهذا السبب وحسبُ ـ في الدين أفواجاً[2]. لمَ لا! وقريشٌ ـ بحسبِ عمر بن الخطّاب ـ لو دَخَلَتْ جُحْراً لَدَخلتْهُ العربُ وراءَها[3].

وفي إسلامِ القبائل العربية لمعرفَتِها ـ بعد أن أسلمت قريشُ ـ بأن لا طاقةَ لها بحربِ الرسولِ، ولا عداوتِهِ ما يدلُّ دلالةً بيِّنةً على أنَّ إسلامَ هذه القبائل إسلامُ إذعانٍ وإخضاعٍ، لا إسلامُ اقتناعٍ، أو هو إسلامٌ سياسيٌّ نفعيٌّ، لا عَقَديٌّ؛ فهذه القبائلُ التي لو دخلتْ قريشٌ جحراً لدخلته وراءها، إنْ هي إلّا مقتفيةٌ أثَرَ قريشٍ أنَّى ذهبتْ، تُسْلِمُ إنْ أسلمتْ، وتأبى الإسلامَ ما أَبَتْهُ؛ الأمرُ الذي يعني أنها تتابعت على الدخول في الإسلام لمّا أُسْقِطَ في يدها، فاقتفتْ أثَرَ قريشٍ التي أُرغمتْ ـ كما سيبين لنا ـ على الدخول في الإسلامِ صاغرةً، على قاعدة " أسْلِموا ـ أهلَ قريشٍ ـ تَسْلَموا"[4].

أجلْ، لقد كانت قريشُ أولى القبائل العربيّةِ التي أسلمتْ على قاعدة "أسلموا تسلموا"؛ فقد ضَيّقتْ ـ كما هو ذائعٌ مشهورٌ ـ على الرسول في مكَّةَ إلى درجة اضّطرته، ومَنْ معه من مناصريه، إلى مغادرة مكَّةَ التي لم تغادرْه يوماً، فبقيَ فؤادُهُ متعلّقاً بها، وبقيتْ هي ـ بزعامة أبي سفيانَ بنِ حَرْبٍ ـ متأبيةً عليه مستعصيةً، لا ترِقُّ له، ولا تلينُ؛ فقريشُ استمرَّتْ في عنادِها لم تخضعْ للرسولِ، أو تسمحْ له بدخولِها، وهو ما فتِئَ ـ ومن ورائه الأنصار والمهاجرون ـ مُذْ خرج منها ساعياً إلى دخولِها عبثاً، فظلَّتِ الحروبُ سِجالاً بين الطرفين أكثرَ من سبعِ سنواتٍ، انتهت بقول زعيم قريشٍ وسيِّدها أبي سفيان، بعد صراعٍ طويلٍ مع الرسول:" أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله" معلناً بذلك خروجَه من عَدادِ خصومِ الرسولِ وأعدائِهِ اللَّدودينَ، ودخولَه مُكْرَهاً في جماعة مُناصِريِّ الرسولِ ومُؤَيِّديه.

صحيحٌ أنَّ الجيش الذي توجّه به الرسولُ إلى مكَّةَ لم يرفعْ رايةً كُتِبَ عليها "أسلموا ـ أهلَ قريشٍ ـ تسلموا"، ولكنَّ الصحيحَ أيضاً أنَّ قريشاً لم تُسلِمْ إلّا عندما أرسل إليها محمدٌ رسالةً تحمل معنى " أسلموا ـ أهلَ قريشٍ ـ تسلموا" على

---

[2]ـ الكامل في التاريخ: 152/2.

[3]ـ تاريخ الطبري:258/3.

[4]ـ انظر وقائع أو مجريات إسلام قريش في تاريخ الطبري:42/3 ـ62. والكامل في التاريخ لابن الأثير: 2/ 115 ــ 126.

نحوٍ صريحٍ وواضحٍ لا لَبْسَ فيه، ولا غموض. وقد شاء القدرُ أن يكون حاملَ هذه الرسالة إلى قريش، أبو سفيان بنُ حربٍ نفسُهُ، الذي بقيَ ـ ما أمكنَهُ البقاءُ ـ ألدَّ أعداءِ محمّدٍ، وأعتى خصومِهِ القرشيينَ على الإطلاق.

ولأنَّ إسلامَ طُليحةَ بنِ خويلدٍ الأسديِّ، بوصفه أحدَ أبناء هذه القبائل التي بُنِيَ إسلامُها على إسلام قريش، ربما كان لزاماً علينا في هذا البحث أنْ نسلِّطَ الضوء أوّلاً على ما يُثْبتُ إسلامَ قريش على هذه القاعدةِ؛ قاعدةِ "أسلموا تسلموا"، لنُثَنّي ـ بعد ذلك ـ بإثبات إسلام أبناء القبائل العربية الأخرى، ومن بينهم طليحةُ، على القاعدة نفسِها.

جاء في الأخبار أنَّ الرسول عزمَ على دخول مكَّةَ حرباً، بعدما يئسَ من إمكانية دخولها سِلْماً، فجهَّزَ لتلك الغاية جيشاً خرج به من المدينة[5]، من غير أن يُسَمِّيَ الوجهةَ التي يريدُها، كيلا يصلَ الخبرُ قريشاً فتستعدَّ لمواجهته، وصدِّه عن مُرادِه، فبلغَ قريشاً خبرُ خروجه من المدينة إرادةَ الغزوِ، ونزوله "مرَّ الظّهران[6]، ولكنها لم تعرف وِجْهَته يقيناً، فأرسلتْ سَيِّدَها أبا سفيانَ بنَ حَرْبٍ برفقة بُديلِ بنِ ورقاءَ، وحَكيمِ بنِ حِزام، عيناً لها ترصدُ أخبارَ جيش المسلمين، وتحاول معرفةَ وِجهته، وكان (عمُّ الرسول) أبو الفضل العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلب، قد خشيَ على أهلِهِ القرشيينَ الهلاكَ إنْ بَاغَتَها الرسولُ بجيشه، فجاءَ الرسولَ حيثُ هو في "مَرَّ الظَّهْرانِ"، فأَسَرَّ له الرسولُ بعزمه على دخولِ مكَّةَ، سِلْماً أو حرباً، فأرادَ العبّاسُ تجنيبَ كلٍّ من الفريقين الحربَ المُهلكةَ، فركب بغلةَ الرسولِ، وهبط الوادي لعلَّهُ يصادف مَنْ يبعثُ به إلى قريش يُبَلِّغُها خبرَ قدوم الرسول إليها، وعزمِه على دخول مكَّةَ بالقوة، علَّها تفعلُ ما عساهُ أن يحقنَ دماءَهم ودماءَ خصومِهم في آنٍ، فصادفَ ـ وهو في طريقه إلى مكَّةَ ـ أبا سفيان ورفيقيه، فأبلغه أنَّ محمداً قد جاءهم بجيشٍ، لن تستطيعَ قريشٌ صدَّه عن مُرادِهِ، واقترح عليه الذهابَ معه إلى الرسول يستأمِنُهُ له، فوافقه أبو سفيان الرأيَ، فاصطحبه العبّاسُ إلى الرسول، الذي بادرهُ بالقول: أَمَا آنَ لكَ ـ يا أبا سفيان ـ أن تعلمَ أن لا إله إلا الله؟ فأجابه أبو سفيان، كيف لا أعلمُ أنْ لا إله إلّا الله، ولو كان مع اللهِ غيرُهُ، لأغنى عنّي شيئاً؟! فأردف الرسولُ قائلاً: أما آنَ لكَ أنْ تعلمَ أنّي رسولُ الله أيضاً؟ فتبسَّمَ أبو سفيان، وقال له: أمّا نُبُوَّتُكَ هذه فإنّي على شكٍّ بها، فغضبَ العباسُ لقوله هذا، وقال له: اشْهَدْ أنَّه رسولُ الله، قبلَ أن أضْرِبَ ـ واللهِ ـ عُنُقَكَ، فقال أبو سفيان لمحمّدٍ صاغراً: أشهدُ أنَّكَ رسولُ الله[7].

بعد شهادةِ أبي سفيانَ بأنَّ محمداً رسولُ الله، قَرَّرَ الرسولُ الاستثمارَ في إسلامه؛ لِما يعرفهُ من مكانتِهِ في قومِهِ، وقُدْرتِهِ على التأثير فيهم، بوصفه سيّدَ قريش وإمامَها، فقال للعبّاس: ابقِهِ الليلةَ عندَكَ، وآتِني به غداً لتمُرَّ أمامَ ناظريه كتائبُنا المقاتلةُ، وفي صبيحةِ اليوم التالي جاء به العبّاسُ إلى حيثُ أمرَهُ الرسولُ، فجعلتْ كتائبُ الجيش الذي أُعِدَّ لدخول مكّة تمرُّ من أمامه الواحدةَ تلوَ الأخرى، حتّى إذا مرَّتِ كتيبةٌ في الحَديدِ، لا يُرى من رجالها غيرُ حَدَقِ العيونِ، قال أبو سفيان للعبّاس: مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل؟ فأجابه العبّاسُ: هذا رسولُ الله في المهاجرين والأنصار، فقال أبو سفيان له:

---

[5]ـ قوام هذا الجيش عشرة آلاف، جلُّهم من المهاجرين والأنصار. انظر ما لكلّ قبيلة من هذا العدد في الكامل في التاريخ لابن الأثير: 2/ 119.

[6]ـ وادٍ يفصل بين المدينة ومكّة. معجم البلدان، ياقوت الحموي:2/ 146.

[7]ـ تاريخ الطبري: 54/3. إنَّ إقرار أبي سفيان بإيمانه بأن لا إله إلا الله دليلٌ على أنَّ ما يفصلُ أجدادَنا الجاهليينَ عن الإسلام المُحَمَّدي هو شهادة أنَّ محمداً رسول الله، فقط، وليس شهادة "لا إله إلا الله"؛ الأمر الذي يعني أنَّ التوحيدَ في عقائد الجاهليين، حتى الوثنيين منهم سابقٌ للإسلام المحمدي. وحسْبنا دلالة على ذلك كثرة الآيات القرآنية التي تصف سيّدنا إبراهيم بأنه أول المسلمين؛ الأمر الذي يعني أنَّ أتباعَه ـ وهم المُتَحنِّفون من العرب ـ كانوا مُوحِّدين، بل مسلمينَ إبراهيميينَ، قبلَ أن يصيروا مسلمينَ محمَّديين. قال الله في الآية 78 من سورة الحج: { هو اجتباكم، وما جعل عليكم في الدين من حرجٍ، مِلَّةَ أبيكم إبراهيمَ، هو سمّاكم المسلمينَ من قبل، ليكون الرسول شهيداً عليكم، وتكونوا شهداءَ على الناس...الخ. وانظر معنى الآية نفسُه في الأنعام/ 160 ـ 163، ويوسف/ 38، والنَّحل/ 120ـ 123، وغيرها من آياتٍ كثيرةٍ تدلّ على أنَّ أتباعَ إبراهيم مسلمون لا يختلفُ إسلامهم عن إسلام المسلمين المحمَّديين في شيء على الإطلاق، إلّا في تقدُّمه عليه في الزمن. وانظر لتأكيد ذلك طقوسَ الحجِّ في الجاهلية، في الكامل في التاريخ لابن الأثير:1/ 95 وما بعدها. وانظرها أيضاً في تاريخ الطبري:251/1 وما بعدها.

لقد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيكَ عظيماً يا أبا الفضل، فأجابهُ العبّاسُ: مهٍ، أبا سفيانَ، إنه ليس مُلْكاً، إنها النّبُوّةُ، فهزَّ أبو سفيان برأسه، وقال: نعم، إنها النّبوّةُ إذن[8].

بعد إقرار أبي سفيانَ ـ وسيفُ العباس مُسْلَطٌ على عنقه ـ بأنَّ محمداً رسولُ الله، قال له العباسُ: اذهبِ الآنَ إلى قريشٍ، وحذِّرْها من عاقبةِ محاولتِها صَدَّ محمّدٍ عن مُرادِه، فعاد أبو سفيان إلى مكّةَ بصحبة رفيقيه؛ بُديلٍ وحكيم، فلمّا وافى مكَّةَ دخل الحَرَمَ ونادى بأعلى صوته: يا أهلَ مكَّةَ، هذا "محمَّدٌ" قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به؛ فمَنْ دخل منكمُ الكَعبةَ فهو آمنٌ، ومَنْ دَخَلَ دَاري فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمٍ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عليه بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ فَهُوَ آمِنٌ، فأذعنتْ لقوله قريشٌ، وأمْكَنَتِ الرسولَ من دخول مكَّة سِلْماً، فدخلها الرسولُ، وقضى نُسُكَهُ في الكعبة، ثمّ جلس عَلَى الصَّفَا، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قريبٌ منه يَأْخُذُ عَلَى النَّاسِ البيعةَ، فَبَايَعَهُ الرجالُ، بإمامَةِ أبي سفيانَ، علَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ بقدر الاستطاعة[9]، ثمَّ بايعتْهُ النساء[10]، تتقدَّمهنَّ هندُ بنتُ عتبةَ، زوجةُ أبي سفيان، فبايَعَهُنَّ في سياق حوارٍ طريفٍ، بلْ وُدِّيٍّ، جرى بين الرسولِ وهنْدٍ، حوارٍ يرشَحُ بالحرارة والحبِّ الذي يُكِنُّهُ الرسولُ لقريشٍ، كلِّ قريشٍ، رجالاً ونساءً. وليس هذا بمُستَغرَبٍ على الإطلاق؛ فقريشٌ أهلُ الرسول أولاً، وأهلُه آخِراً، سواءٌ في ذلك أسلموا أو لمْ يسلموا.

قال الطبريُّ:" لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ، التي ما زادتْ على قولهم له:" إنَّا نبايِعُكَ على السَّمعِ والطاعة بقدر الاستطاعة" اجتمعتْ إِلَيْهِ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِنَّ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، مُتَنَقِّبَةً مُتَنَكِّرَةً، لِمَا كَانَ مِنْ صَنِيعِهَا بِحَمْزَةَ عمِّ الرسول، فَلَمَّا دَنَوْنَ مِنْهُ يُبَايِعْنَهُ، قالَ الرسولُ لهُنَّ: تُبَايِعْنَنِي علَى أَلا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا! فَقَالَتْ له هِنْدٌ: لِمَ تطالبُنا بما لم تطلبْهُ من رجالنا؟!. قَالَ: وَلا تَسْرِقْنَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لأُصِيبُ مِنْ مَالِ أَبِي سُفْيَانَ الْهَنَةَ وَالْهَنَةَ، وَمَا أدري أكان ذلك حلالي أَمْ لا؟! فضحكَ أبو سفيانَ، وَقَالَ لها: أَمَّا مَا أَصَبْتِ من مالي فِيمَا مَضَى فَأَنْتِ مِنْهُ فِي حِلٍّ، فَقَالَ لها الرسولُ: وَلا تَزْنِيْنَ، قَالَتْ: وهَلْ تَزْنِي الْحُرَّةُ يا رسول الله؟! قَالَ: وَلا تَقْتُلْنَ أَوْلادَكُنَّ، فقَالَتْ له مستنكرةً سؤالَه: قَدْ رَبَّيْنَاهُمْ صِغَارًا، وَقَاتلتهم يَوْمَ بَدْرٍ كِبَارًا! فَضَحِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِسْتَغْرباً منْ قَوْلِهَا. قَالَ: وَلا تَعْصِينَنِي فِي مَعْرُوفٍ، قَالَتْ: مَا جَلَسْنَا هَذَا الْمَجْلِسَ وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ، فَقَالَ الرَسُولُ لِعُمَرَ: بَايِعْهُنَّ على ما سمِعْتَهُ منهنَّ يا عمرُ[11].

ربما بدا واضحاً من خلال ما أثبتناه من مفردات بيعة رجالِ قريش ونسائِها أنَّ محمّداً لم يشأْ أن يُكلِّفَ قريشاً بإسلامها من أمرها شَطَطاً، أو يجعلَ من إسلامها عبئاً عليها؛ فقَبِلَ من رجالها مبايَعَتَهُ على ما هو من قبيل السَّهْلِ، والمُمكِنِ، وربما البسيطِ، وغيرِ المُكْلِفِ؛ ذلكَ أنَّ مبايعتَهُم إيّاهُ على "الطاعة بقدر الاستطاعة" يعني أنهم مُخَيَّرونَ بينَ إطاعَتِهِمُ الرسولَ وعدمِها؛ إذْ كُلُّ ما يرونَهُ غيرَ مُستَطاعٍ ليسوا مُلْزَمينَ به. أمّا نساءُ قريش فقد بايَعْنَهُ وبايَعَهُنَّ ـ كما رأينا ـ على آدابٍ عامَّة، وخصالٍ أثبتتْ هندٌ أنها مُتَجَذِّرةٌ فيهِنَّ أصلاً، وليستْ غريبةً عن أَيٍّ منهنَّ، بآية أنَّها قد لامَتِ الرسولَ على جميعِ ما طالَبَهنَّ به؛ فلامتْهُ على مطالبتِهِ إياهُنَّ بعدم مقاربةِ الزِّنا، بآيةِ أَنَّهُنَّ حَرائِرُ، لا ينبغي الشَّكُّ في أخلاقِهِنَّ، ولامتْهُ على مطالبتِهِ إياهنَّ بعدم قتل أولادِهِنَّ؛ إذْ كيف ينبغي اتهامُهُنَّ بقتلِ مَنْ قاتلهم وقاتلوه في "بدرٍ" وسواها من معاركه مع قريش؟! كما لامتْهُ على مطالبتِهِ إيّاهنَّ بفعلِ الخيرِ أو المعروف؛ لأنَّ فعل الخير واجبٌ على الجميع، لا يُمَاري فيه أحدٌ، و...الخ.

أجلْ، إنَّ الأجوبة التي أجابت بها هندٌ الرسولَ لا توحي بأنَّها جاءَتْهُ خائفةً، مُرتعدةَ الفرائصِ، واجفةً، بل لا توحي بأنها قلقةٌ أصلاً، وربما حَقَّ لنا أن نرى في أجوبتها ما يجعلنا نُحِسُّ بأنّها قد حاورتْهُ محاورةً حميميّةً، **بلْ محاورةَ النِّدِّ للنِّدِّ؛**

---

[8] ـ تاريخ الطبري: 3/ 54.

9ـ تاريخ الطبري: ٣/ 61.

[10] ـ انظر أسماءهنَّ في الكامل في التاريخ لابن الأثير: 2/ 125، 126.

[11] ـ انظر وقائع فتح مكَّة في تاريخ الطبري 3/ 51 ـ 62. والكامل في التاريخ لابن الأثير: 2/ 115 ــ 125.

فلم تقلْ له ـ كما رأينا ـ "سمعاً وطاعةً"، كما أنَّها لم تُجِبْهُ بـ "نَعَمْ" على أيٍّ من أسئلته، إنما أجابته بما يدلُّ على ثقتِها بنفسها، واعتدادِها بذاتها، ثقةً واعتداداً انتزعا من عمرَ بنِ الخطاب الضَّحِكَ، ومن زوجها أبي سفيان المُزاحَ بحضرة الرسول الكريم.

وربما نَفَعَتِ الإشارةُ هنا إلى أنَّ هنداً لم تكنْ استثناءً في جرأتها على الرسول، إنما بلغتْ جرأةُ بعضِ القرشيين والقرشيّات عليهِ أثناءَ البيعةِ حَدَّ شَفْعِ بيعتهم بالمُجاهرة أمامَهُ بأنَّ إسلامَهم إسلامُ إذعانٍ، لا إسلامَ إيمانٍ؛ إسلامٌ سياسيٌّ نفعيٌّ، لا إسلاماً عَقَدِيّاً؛ **فجُويرةُ بنتُ عمرو بن هشام[12] تقولُ للرسولِ عندما صعدَ بلالٌ ظهرَ الكعبة وقالَ مُؤذِّناً: "أشهدُ أنَّ محمداً رسول الله": لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ أَبِي، حِينَ لَمْ يَشْهَدْ نَهِيقَ بِلَالٍ فَوْقَ الْكَعْبَةِ. اعلمْ يا محمد بأنّا سنُصَلّي، ولكنّا لنْ نُحِبَّ مَنْ قتل الأَحبَّةَ أبداً. أمّا خالدُ بن أَسَدٍ، فقالَ مُعقِّباً على قول بلالٍ:" أشهد أنَّ محمداً رسول الله: لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ أَبِي؛ إذ لَمْ يَرَ هَذَا الْيَوْمَ. وقال الحارث بن هشام: لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ المشؤومِ[13]". فهؤلاء جميعاً وغيرُهم كثيرٌ جهروا أمامَ الرسول بعدمِ محبَّتهم إيّاهُ، وعدمِ إيمانهم بنبوَّته، ولكنَّ الرسول لمْ يعبأْ بمجاهرتهم له بالكُره، وعدمِ الإيمان بنبوَّته؛ لأنَّ ما يعنيه منهم ومن غيرهم ـ كما سيبينُ لنا ـ هو الاستكانةُ لإرادته فقط، وإذعانُهم لها؛ ليفرغَ ـ بعد ذلك ـ إلى توطيد أركان الدولة التي أرادَ تأسيسَها، والتي لا تحتاجُ إلى أكثر من طاعةِ المحكومين برضىً منهم أو غير رضى، فَقَبِلَ ـ لذلك ـ منهم الإسلامَ مشفوعاً بكلِّ ما سبقت الإشارةُ إليه من عدم إيمانهم بالإسلام، بل مشفوعاً بكرهِ مَنْ جاء بهذا الإسلامِ، مُمَثَّلاً بالرسول الكريم نفسِهِ.**

وعلى الرغم من مجاهرةِ القُرشِيينَ بأنَّ إسلامَهُم إسلامُ إذعانٍ، لا إسلامَ إيمان، فقد اكتفى الرسول منهم بهذا الإسلام، فأقام بين ظهرانيهم في مكَّةَ خمسةَ عشرَ يوماً، عادَ بعدَها أدراجَهُ إلى المدينة، من غير أنْ يجعلَ على مَكَّةَ وقرشِييها أميراً، أو يُكَلِّفَ أحداً بجمع الصَّدقات من أهلها، علماً بأنه سيفعل ذلك مع القبائل العربية الأخرى من دون استثناء؛ لأنه ـ بحسب اعتقادنا ـ لم يُرِدْ أنْ يُوغِرَ صدرَ أحدٍ من القرشيين عليه، وهو الذي انتظر إسلامَهم على أحرَّ من الجمر، سبعَ سنواتٍ ونيّفاً، كما ذكرنا من قبلُ.

جعل الرسولُ ـ بعد وصوله إلى المدينة عائداً من مكَّةَ ـ يرسلُ إلى كلِّ قبيلة من القبائل رسولاً يحمِّله رسالةً يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام طوعاً أو كُرهاً، الأمر الذي يعني أنَّه وضعهم أمامَ خيارٍ واحدٍ لا ثانيَ له، خيارِ الدّخولِ في الإسلام وحسب، أو القتالِ إلى حينِ دخولِهم فيه بعدَ أن يستَجِرَّ فيهم القتلُ، فأسلمَتِ لذلكَ القبائلُ العربيةُ جميعُها حقناً لدماء أبنائها، وجعلتْ كلٌّ منها تُرسلُ وفداً من أشرافها يُمَثِّلُها بين يدي الرسول، فيعلِنُ إسلامَ القبيلة التي يُمَثِّلها، الأمرُ الذي يعني أنَّ أبناءَ هذه القبائل الذين لم يَمْثلوا بين يدي الرسول قد أُلْزِمُوا بما لمْ يُلْزِمُوا به أنفسَهُم، فنَماهُمُ الوفدُ ـ شاؤوا أم أَبَوا ـ إلى المسلمين، وصيَّرهم في عَدادِهم، وصارتْ طاعةُ أوليْ أمرِ المُسلمينَ الذينَ عَيّنهم الرسولُ أمراءَ، وجامِعِي صدقاتٍ على قبائلهم، واجبةً عليهم، وصارت ـ في مقابل ذلك ـ مخالَفَتُهم أُولي الأمر هؤلاء، ضرباً من ضروب التَّمرُّد والعصيان، الذي يُشرِّعُ للدولة ـ كما ستدلُّنا سيرةُ طليحةَ ابنِ خُويلدٍ الأسديِّ ـ قتالَهم بوصفهم متمرِّدينَ خارجينَ على سلطة الدولة التي شكَّل القرشيون، وحلفاؤهم من ثَقيفٍ معظمَ أصحابِ الأمرِ والنفوذ فيها، الأمرُ الذي جعلَ منها ـ من وجهةِ نظر القبائل باستثناء قريشٍ وثقيفٍ ـ دولةً قرشيّةً تستأثر بموارد القبائل العربية، أكثرَ منها دولةً عربيةً إسلاميّةً تتقاسمُ فيها والقبائلَ الأخرى جميعَها الموارِدَ على قدم المساواة.

---

[12]ـ أطلقَ عليه المسلمون اسم أبي جهل نكايةً بمعاداته الرسول.

[13] ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير: 2/ 126.

أسْلَمَةُ طليحةَ الأسدي:

واضحٌ أننا آثرنا عبارةَ "أَسْلَمَةُ طليحةَ" على عبارة "إسلامُ طليحةَ"؛ لأنَّ طُليحةَ وأمثالَه ممّن أسلموا على قاعدة " أسلموا تسلموا "، أو نابتْ عنهم الوفودُ في إسلامهم، لم يُسْلِموا ـ من وجهةِ نظرنا ـ بلْ أُسْلِموا، أو نُمُوا إلى الإسلام؛ **لأنه لا يصحُّ ـ عقلاً ـ أنْ ينوبَ أحدٌ عن أحدٍ في عقيدة؛ إذِ المعتقدُ أمرٌ شخصيٌّ ذاتيٌّ بامتياز، بل جِدُّ ذاتيٌّ بامتياز، لا يجوزُ، بل لا يمكنُ أنْ يمثِّلَ الإنسانُ، إلّا نفسَهُ فيه**، ناهيكَ عن أنَّ الإنسانَ نفسَه الذي أعلنَ إسلامَهُ، وهو في مواجهة شعار " أسلم تسلم"، كأبي سفيانَ، وهندٍ بنتِ عتبةَ، وجويرةَ بنت عمْرِو بنِ هشامٍ ابنِ المغيرةَ، وغيرهم ممن جهروا بكرههم الرسولَ، لا تَصِحُّ ـ من وِجهةِ نظرنا ـ نسبتُهُم إلى الإسلام العَقَديِّ، إنما تصحُّ نسبتهم إلى الإسلام السياسي "اللّاعقدي" الذي يمثِّلُهُ خيرَ تمثيلٍ إسلامُ طليحةَ بن خويلد الأسدي، وأمثاله من أبناءِ "أسد" و"هَمْدانَ" و "نَجْرانَ" و "غَطَفَانَ" و"فَزَارَةَ" وغيرها من القبائل التي أعلنتْ وفودُها بين يدي الرسول إسلامَها نيابةً عن أبنائها.

ففي كتب الأخبار أنَّ الرسولَ بعث في السنة العاشرة للهجرة خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى "**هَمْدانَ**" في اليمن، يدعو قبائلَها إِلَى الدّخول في الإِسْلامِ، فَأَقَامَ خالدُ فيهم ستَّةَ أَشْهُرٍ لم يُسْلِمْ خلالَها أحدٌ، فبعثَ إليهم جيشاً على رأسه عَلِيُّ بنُ أَبِي طالب، فَلَمَّا وصل عليٌّ بجيشه أَوَائِلَ الْيَمَنِ، جمعَ اليمانيّون له بغيةَ صَدِّه عن مُراده، فجعل عليٌّ جيشَهُ صَفًّا وَاحِدًا في مواجهتهم، وقرأ عليهم كتاباً من رسول الله، خلاصَتُه "أسلموا تسلموا"، فَأَسْلَمَتْ "هَمْدَانُ" كُلُّهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، ثم تتابع أهلُ اليمن على الإسلام[14].

وفي ربيع الأول من سنةِ عشرٍ للهجرة أيضاً، أرسلَ الرسولُ خالدَ بن الوليد، بكتابٍ إِلَى بني "**الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِنَجْرَانَ**"، أَمَرَهُ فيه أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، فَإِنِ اسْتَجَابُوا قَبِلَ مِنْهُمْ، وإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلَهُم حتى يستجيبوا، فقَدِمَ خالدُ إليهم، ونَشَرَ فيهم رجالاً يَقُولُونَ لهم: أَيُّهَا النَّاسُ "أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا"، فَأَسْلَمَ النَّاسُ، فأرسلَ خالدُ إلى الرسول كتاباً قال فيه: سلامٌ من الله عليكَ، وبعدُ: فإنكَ بَعَثْتَنِي إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَأَمَرْتَنِي أَنْ أَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ أَسْلَمُوا قَبِلْتُ مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا قَاتَلْتُهُمْ. فاعلم أَنِّي قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ، وبعثتُ فيهم رجالاً قالوا لهم: يَا بَنِي الْحَارِثِ، **أَسْلِمُوا تسلموا، فأسلموا، ولم يقاتلوا**، وها أنا مقيمٌ بينهم، بانتظار ما تأمرني به، فَكَتَبَ اليه الرسولُ: لقد جَاءَنِي كتابُكَ بِخَبَرِ أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلُوا،... فَأَقْبِلْ إليَّ، وَلْيُقْبِلْ مَعَكَ وَفْدُهُمْ. فأَقْبَلَ خَالِدُ، وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفْدُ بَنِي الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، فَلَمَّا مَثُلُوا بين يدي الرسول، قال لهم: **واللهِ لو لمْ يكتب إليَّ خالدُ أنَّكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لجعلتُ رؤوسَكم تحتَ أرجلكم**[15].

وقبلَ أن يصل إلى "بني أسد " من قِبَلِ الرسول مَنْ يقولُ لهم: أسلموا تسلموا، على غرار ما وصل إلى الهَمْدانيينَ وبني الحارث بن كعب، وغيرهم من أبناء القبائل الأخرى، أرسلوا إلى المدينة وفداً قال للرسولِ: "أَتَيْنَاكَ قَبْلَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْنَا مَنْ يقول لنا "أسلموا تسلموا[16]" فَأَنْزَلَ اللَّهُ على الرسول جوابَهُ لهم بقوله: **﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُواْ، قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم، بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُم أَن هَدَىٰكُم لِلْإِيمَٰنِ، إِن كُنتُم صَٰدِقِينَ**[17]**﴾.**

أليسَ إسلاماً سياسيّاً "لا عقديّاً" إسلامُ بني الحارث بن كعب الذين قيلَ لمُمَثِّليهم: لو لم تُسلِموا لكانَت رؤوسُكُم تحتَ أرجلكم؟! ثمَّ أليس إسلامَ إذعانٍ، أو إسلاماً "لا عقديّاً" إسلامُ الهمدانيين الذين أسلموا جميعاً في يومٍ واحد، وهم في مواجهة جيش عليٍّ، بعد أن عجزَ خالدُ عن أسلمةِ واحدٍ منهم فقط، طيلَة ستّةِ أشهرٍ قضاها داعيةً إلى الدخول في

---

[14] ـ **الكامل في التاريخ لابن الأثير:2/ 164.**

[15] ـ **انظر وقائع إسلام بني الحارث بن كعب بنجران في تاريخ الطبري: 3/ 126 ــ 128.**

[16] ـ **الكامل في التاريخ لابن الأثير:153/2.**

[17] ـ **الحجرات/ 17.**

الإسلام بين ظهرانيهم؟! ثم هل يختلفُ في شيء عن إسلام هؤلاء وأولئك إسلامُ بني "أسد" الذين قال وفدُهم للرسول: جئناكَ مسلمينَ قبل أن ترسلَ مَنْ يقول لنا: أسلموا تسلموا؟.

خروج القبائل من إسلامها السّياسي، أو اللّاعقدي:

إذا كان حرصُ الرسولِ على تأسيس الدَّولة قد جعله يقبلُ من النّاس إسلامَهم اللاعَقَدِيَّ، فإنه بذلك قد بثَّ فيهم ـ من حيث لا يريد ـ بذورَ، أو عوامِلَ خروجهم على هذا الإسلام، متى رأوا الفرصةَ المناسبةَ لخروجهم منه. وقد تَمثَّلتْ بذورُ أو عواملُ ذلك الخروجِ في تعيينِ الرسولِ عُمّالاً، بلْ جُباةً يجمعونَ من القبائل ـ باستثناء قريشٍ، وحَليفتِها ثقيف ـ صَدَقاتِ أموالها؛ الأمرُ الذي بَعَثَ في هذه القبائل الإحساسَ بأنَّ هذه الدولةَ دولةُ جبايةِ أموالٍ لصالح قريش؛ ذلكَ أنَّ الرسول كان كلمّا قدم عليه وفدُ قبيلة، وأعلن إسلامَه بين يديه، جعل أحدَ أبرز أعضاء هذا الوفد أميراً على قبيلته التي يمثِّلُها، وأرسل معه رجلاً قرشيّاً في الغالب الأعمّ، عاملاً له على الصدقات، يجمعها من أبناء القبيلة، ويُرسل بها إلى المدينة حيثُ الرسولُ وغيرُهُ من أصحابِ الأمر والنفوذ في الدولة؛ فقد ذكرت المصادر أنَّ الرسول بعدما قَضَى حَجَّةَ الوداع، ورجع إلى المدينة قسَّمَ اليمنَ إقطاعات، وجعل على كلٍّ إقطاع عاملاً له على صدقات قبائله؛ فحَضْرَمَوْتُ وما يتبع لها جعلها ثلاثةَ إقطاعات، وجعل على كلٍّ منها عاملاً له على صدقاته؛ فعلى "حَضْرَمَوْتَ" المَدينةِ جعل زيادَ بنَ لبيدٍ عاملاً له على صدقاتها، وجعل على"السَّكاسك والسّكون" التابعةِ لإقطاع "حَضْرَمَوْتَ" عُكَاشَةَ بْنَ ثَوْرٍ، وَعَلَى بَنِي مُعَاوِيَةَ بنِ كِنْدَةَ، جعلَ المهاجرَ ابنَ أبي أميّةَ، أخا زوجته أمِّ سلمة[18]، وجعل سيّدَ قريش وزعيمها أبا سفيان عاملاً له عَلَى صدقات نَجْرَانَ[19]، القبيلة اليمانية التي ينتمي إليها الأسودُ العَنْسيُّ، وَجعل خَالِدَ بْنَ سَعِيدِ بنِ الْعَاصِ عَلَى مَا بَيْنَ نَجْرَانَ وَزُبَيْدَ[20]، وَعَلَى مَأْرِبَ جعَلَ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ[21]، وهكذا حتى لم تبقَ قبيلةٌ إلّا بعث إليها من أهله، أو مُواليه مَنْ يَجْبِي له زكاةَ أموالها.

لم يستقرَّ المقامُ بهؤلاء الجُباة في القبائل التي أُرسلوا إلها حتى شاعَ خبرُ مرض الرسول، فرأتْ فيه تلك القبائلُ فرصةً مناسبةً لخروجها من إسلامها الذي بعثَ فيها الإحساسَ بالتَّبعيّة لقريش التي قاسَمَتْهُم على أيدي هؤلاء الجُباة ـ بغير وجه حقٍّ ـ أموالَهم، فسارعوا إلى إعلان خروجهم ممّا دخلوا فيه على قاعدة "أسلموا تسلموا". قال الطبريُّ في سرده وقائعَ أحداث سنة إحدى عشرة للهجرة:" لمّا شاعَ خبرُ مرض الرسول خرجَ الأسود العَنسيُّ في اليمن، وأرسلَ إلى عمّالِ الرسول على الصَّدقات كتاباً قال فيه:"**أَيُّهَا الْمُتَوَرِّدُونَ عَلَيْنَا، أَمْسِكُوا عَلَيْنَا مَا أَخَذْتُمْ مِنْ أَرْضِنَا، وَوَفِّرُوا مَا جَمَعْتُمْ من أموالنا، فَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ منكم**[22]". فطُرِدَ أو قُتِلَ خلالَ خمسةٍ وعشرينَ يوماً كلُّ مَنْ كَلَّفهم الرسولُ بجباية أموال قبائل اليمن[23]. وتَبِعَ الأسودَ في خروجه على سلطة الدولة القُرَشيّة، مُسيلمةُ بن حبيب في اليمامة، الذي كتب إلى الرسول

---

[18] ـ زهدَ المهاجرُ بإقطاع بني معاوية بن كندة، الذي كلَّفه الرسول بجمع صدقة أهله، فلم يلتحق بعمله فيه، وكلَّف زيادَ بنَ لبيد القيامَ بعمله نيابةً عنه، وبقي في المدينة لم يغادرها، حتى إذا تمرَّدت قبائل اليمن بعد وفاة الرسول، أرسله أبو بكر لقتالها. تاريخ الطبري: 3/ 228. وانظر الكامل في التاريخ لابن الاثير: 2/ 229 ،230.

[19] ـ جعل الرسول عمرَو بن حزم على الصَّلاة، وأبا سفيان على الصدقات: تاريخ الطبري:318/3. ومعلومٌ لدى الدارس أنَّ موضوع معركة بدر هو محاولة المسلمين السَّطوَ على تجارة أبي سفيان التي كانت عائدة من بلاد الشام إلى مكّة. الأمر الذي يعني أنَّ كبيرَ تجار قريش في جاهليّته صار ـ بُعَيدَ إسلامه ـ مُكَلَّفاً بجمع أموال صدقات أهل نجران؛ وهذا ما يفسّر ـ من وجهة نظرنا ـ ثباتَه على الإسلام، بعد أن أسلم على قاعدة "أسلمْ تسْلَمْ" ويُفسِّر من ثمَّ ردّة قبائل نجرانَ التي أسلمت على قاعدة "أسلموا تسلموا" نفسها.

[20]ـ كلّف الرسولُ عليَّ بن أبي طالب سنة عشرٍ للهجرة بجمع صدقة أهل نجران والعودة بها إليه في المدينة. الكامل في التاريخ لابن الأثير: 2/ 165.

[21] ـ انظر أسماء عمال الرسول على صدقات أهل اليمن في تاريخ الطبري: 3/ 228.

[22]ـ المصدر السابق:229/3.

[23]ـ المصدر السابق: 229/3.

عندما بلغه نبأُ مرضه:" **من مسيلمةَ رَسُولِ اللَّهِ، إلى محمد رَسُولِ اللَّهِ، سلامٌ عليكَ، لقد أَوْحَى اللهُ إليَّ أنّي قد أُشركتُ فِي الأمر مَعَكَ، وأنَّ لنا نصفَ الأرضِ، ولقريشٍ نصفَها، ولكنَّ قريشاً قومٌ يعتدون**[24]؛ فمن الواضح أنَّ الأسودَ العَنْسيَّ لا يجدُ فيمَنْ أرسلهم الرسولُ عُمّالاً على الصَّدقات غيرَ أغرابٍ دُخلاءَ عليهم؛ إنهم ـ بحسب تعبير الأسود ـ مُتَوَرِّدون، وما الأموالُ التي يجمعونها ليرسلوها إلى محمد وأصحابه في المدينة غير أموالِ اليمانيينَ، وغلالِ أرزاقهم، ولذلك طالبهم بالكَفِّ عن السَّطْوِ على هذه الأموال، التي هي ثمرةُ جهود أبناء هذه القبائل، وعرقِ جباههم. **وقد يكون جديراً بالإشارة في هذا المقام أنَّ الأسودَ لمْ يأتِ في كتابه إلى عمّال الرسول، على ذكر العقيدة التي جاء بها محمد، حتّى كأنها لم تكن، الأمر الذي يعني أنَّ موقفه من الرسول ومُوَظَّفيه أو عمّالِهِ ليس موقفاً عقديّاً، إنما هو موقفٌ سياسيٌّ ذو بُعْدٍ اقتصادي وحسب.**

ويدلُّ مضمونُ كتاب مسيلمةَ إلى الرسول أيضاً، على ما دلَّ عليه كتاب الأسود؛ فمُسيلمةُ لم يُنْكِرْ على محمد، وقريشٍ من خلفه، أَحَقِّيَّتهم في التَّمتُّع بخَراجِ ما بسطَ عليه نفوذَهُ من الأرض، ولكنه أنكر عليه تفرُّدَهُ بذلك، وإصرارَه على حكم أرض شبه الجزيرة العربية حكماً فرديّاً شموليّاً بحسب مصطلحات العصر، الأمر الذي رأى فيه مسيلمةُ اعتداءً من قريش على غيرها من القبائل التي جَرَّدتْها قريشُ من سيادَتها على أرضها، وأعطت لنفسها الحقَّ في التَّصرُّف بأموالها. وإذا كان كتابُ "الأسود" إلى عمّال الرسول قد خلا من أيَّة إشارة إلى العقيدة الإسلامية التي جاء بها الرسول الكريم، فإنَّ كتاب مسيلمة إلى الرسول، قد خلا من ذلك أيضاً خلوّاً تامّاً؛ الأمر الذي دلَّ بوضوح أيضاً على أنَّ موقفَ مسيلمةَ من الرسول ليس موقفاً عقديّاً بقدر ما هو موقفٌ سياسيٌّ ذو بُعْدٍ اقتصاديٍّ وحسب، تماماً كما هو موقف الأسود العَنْسي.

تمرُّدُ طليحةَ على إسلامه اللاعقدي:

كما كانَ انتصارُ الرسولِ على قريش في السَّنة الثامنة للهجرة سبباً رئيساً، وربما وحيداً، لتهافت القبائل على الدُّخول في الإسلام أفواجاً، فقد كان مرضُهُ في السنة الحادية عشرة للهجرة سبباً لخروج هذه القبائل أفواجاً أيضاً ممّا دخلتْ فيه على قاعدة "أسلموا تسلموا". وقد شَبَّه الرسولُ نفسُهُ تهافتَ القبائل، كلِّ القبائل، باستثناء قريش وثقيف، على الخروج ممّا دخلت فيه مُرغمةً، بقِطَعِ الليلِ، في إشارة منه إلى إجماع هذه القبائل على شَقِّ عصا الطاعة، والتَّمردِ على سلطة الدولة النَّبويّة، بل الدولة القرشية. قال أبو مُويهبةَ مولى رسولِ الله:" لمّا رأى الرسولُ إجماعَ الناس على التَّمرد عليه ـ خرج في جوف الليل إلى مقابر المسلمين في البَقيعِ، وخاطبَ أصحابَ هذه القبور بقوله:" هنيئاً لكم، إنّكم ـ والله في قبوركم ـ أفضلُ حالاً ممّنْ بقيَ من أخوانكم حيّاً؛ فلقد أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا، الآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الأُولَى[25]".

تُوُفِّى الرسول، وترك لمنْ يخلُفُهُ في إدارة شؤون الدَّولة، مُهِمَّةَ مواجهة قطع الليل هذه، التي كان **طُليحةُ في بني أسد،** ومن اجتمع إليه من طيىء وفزارة وغطفان إحداها، فأمر أبو بكر خالدَ بنَ الوليد بالزَّحف إليهم بغيةَ إخضاعهم، فوافاهم بأرض لبني أسد، يُقال لها "بُزاخة[26]"، كان طُليحةُ قد جمع جيشَه فيها استعداداً لمواجهته، فأرسلَ خالدُ ثلاثةً من رجاله[27] يتجسَّسون له أخبار جيش طليحة، فوقعوا في أيدي أَصْحَابِ طُلَيْحَةَ فَقَتَلُوهُمْ، فلَمَّا طالَ غيابُهُم، رَكِبَ خالدٌ فِي نَفَرٍ مِنْ

---

[24]ـ المصدر السابق: 146/3.

[25]ـ تاريخ الطبري: 188/3.

[26]ـ قال الأصمعي: بُزاخةُ: بالضَّمِّ والخاء المعجمة، ماء لطيّء بأرض نجد، وقال أبو عمرو الشيباني: ماء لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر مع طليحةَ بن خويلد الأسدي. معجم البلدان، ياقوت الحموي: 1/ 408.

[27]ـ الرجال هم: عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ الأَسَدِيِّ، وَثَابِتِ بْنِ أَقْرَمَ الأَنْصَارِيِّ، وَمَعْبَدِ بْنِ عَمْرٍو الْمَخْزُومِيِّ.

أَصْحَابِهِ وَسَارَ يتَحَرّى مصيرَهم، فرآهُمْ قَتْلَى، فقال بعضُ أصحاب طليحةَ له: هَلّا بَعَثْتَ مَنْ يَتَجَسَّسُ لَنَا خَبَرَ جيش خالد؛ لأنّا لا نشكُّ في مسيره إلينا لِقَتْلِنَا بعض رجاله، فقال طليحةُ لهم:"**إِنْ بَعَثْتُمْ بِفَارِسَيْنِ بَطَلَيْنِ، مِنْ بَنِي نَصْرِ بْنِ قُعَيْنٍ، عَلَى فَرَسَيْنِ عَتِيقَيْنِ أَدْهَمَيْنِ[28]، أَغَرَّيْنِ[29] مُحَجَّلِينِ[30]، أَتَيَاكُمْ مِنَ الْقَوْمِ بِعَيْنٍ**[31]. فَقَالَ لَهُ بَعْضُهم: **نَشْهَدُ أَنَّكَ لَنَبِيٌّ حَقًّا، فَلَيْسَ هَذَا الْكَلامُ إلا مِنْ كَلامِ الأَنْبِيَاءِ**، فَبَعَثَ الْقَوْمُ بِفَارِسَيْنِ عَلَى مَا وَصَفَ طُلَيْحَةُ، فوجدا جيشَ خالد قد باتَ على مقربة منهم، فرجعا وأخبراه بذلك، فما فتَّ ذلك في عَضُدِهِ، وخطب في قومه قائلاً: يَا مَعْشَرَ بَنِي أَسَدٍ، **إنّا ـ والله ـ ...أَحَقُّ بِالزَّكَاةِ مِنَ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ. لا يُهَوِّلَنَّكُمْ مَا قَدِ اجْتَمَعَ إِلَى خَالِدٍ مِنْ هَذَا الْجَيْشِ، فَإِنَّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَغُرُورٍ،... فَانْظُرُوا أَنْ تَمْنَعُوهم أَمْوَالَكُمْ، كَمَا مَنَعْتُمُوهَا فِي جاهِلِيَّتِكُمْ**[32]". ثُمَّ أَنْشَأَ أبياتاً حثَّ قومَه فيها على الصمود في وجه قريش التي لمْ تُرِدْ ـ من وجهة نظره ـ أكثر من سلبهِمْ أموالَهم، فقال طليحةُ، مِنَ الطَّوِيلِ:

بَنِـي أَسَـدٍ **لا تُطْعِمُـوا صَـدَقَاتِكُمْ** مَعَاشِـرَ حَـيٍّ مِـنْ لُـؤَيِّ بْـنِ غَالِـبِ
وَحَـامُوا عَلَـى **أَمْـوَالِكُمْ** بِرِمَـاحِكُمْ وَبِالْخَيْـلِ تُـرْدِي وَالسُّـيُوفِ الْقَوَاضِـبِ
كَمَـا كُنْـتُمْ بِـالأَمْسِ فِـي جَاهِلِيَّـةٍ تَهَـابُكُمُ الأَحْيَـاءُ مِـنْ كُـلِّ جَانِـبِ
فَـإِنْ تُحْـذَرُ الْحَـرْبُ الْعَـوَانُ فَـإِنَّنِي **لِحَـرْبٍ قُـرَيْشٍ** كلِّهـا غَيْـرُ هَائِـبِ[33]

فمن الواضح أنَّ مطالبةَ أبي بكر، بني أسد بدفع ماسُمِّيَ بالصَّدقات، أو زكاة الأموال، لصالح الدولةِ القُرشية في المدينة، هي التي بعثتْ طليحةَ على التَّمرّد. وذلك بآية قوله لقومه:"لا تُطْعِموا قريشاً أموالكم" بل احتفظوا بها لأنفسكم، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وذودوا عنها بما مَلَكَتْهُ أيمانُكم من أسباب الدفاع عنها، كونوا اليومَ، كما كنتم بالأمس في جاهليَّتكم؛ أقوياءَ أشِدّاء، غيرَ هيّابينَ، أو آبهينَ لقريشٍ الطامعةِ بأموالكم زوراً وبهتانا.

أجلْ، لقد عَزَمَ طليحةُ على الثّبات في وجه قريش الغازية، من وجهةِ نظره، وكان شعارُهُ في مواجهتها "**إنّا ـ والله ـ لن نُبَايِعَ أَبَا الْفَصِيلِ**[34]" يَعْنُونَ أَبَا بَكْرٍ، ولكنَّ رياح الحرب بين الفريقين سارت بغير ما تشتهي سفنُ طليحة، فدَهَمَهم خالدُ بجيشٍ شعارُه "**وَاللَّهِ لَنُقَاتِلَنَّكُمْ أَبَداً، أَو تُكَنُّونَ أبا بكرٍ بِالْفَحْلِ الأَكْبَرِ، لا بأبي الفصيل**". وقد دلَّ شاعرهم على الهَدَفِ الرَّئيسِ من هذه المعركة، مُمَثَّلاً بإخضاع بني أسدٍ، ومن اجتمع إليهم من فزارةَ وغطفان وطيّىء لأبي بكر، وإرغامهم على الاعتراف به خليفةً للمسلمين؛ أي رئيساً للدولة، متصرِّفاً في شؤونها كيف يشاء. قال حُرَيثُ بنُ زيد الخيل الطائي[35]، متوعَّداً طُلحيةَ وأتباعَه، من الوافر[36]:

---

[28] ـ فرسٌ أَدْهَمُ: فرَسٌ شديدُ السَّواد. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 635.
[29] ـ الفرسُ الأغرُّ: الذي في جبهته بياضٌ. انظر لسان العرب لابن منظور: 5/ 14.
[30] ـ المُحَجَّل مِنَ الْخَيْلِ أَن تَكُونَ قَوَائِمُهُ الأَربع بيضاً. انظر لسان العرب لابن منظور: 145/11.
[31] ـ العَين هنا بمعنى الخبر اليقيني المُشاهد عياناً.
[32] ـ كتاب الردة للواقدي: 87.
[33] ـ المصدر نفسه: 88.
[34] ـ الفصيل: هو وَلَدُ النَّاقَةِ مِنْ حِينِ يُوضَعُ إِلى أَن يُفْطَمَ وَيُفْصَلَ، فإِذا فَصَلَ عَنْ أُمه فَهُوَ فَصِيلٌ. لسان العرب: 221/4. أما البَكْر فهو الفحلُ من الجمال. انظر كلاً من مادَّتي: فَصَلَ، و بَكَرَ في اللسان.
[35] ـ هو حُريث بن زيد الخيل بن مهلهلٍ الطّائيّ، شاعرٌ نشأ في الجاهلية، ووفد على النبي، فأسلم هو وأخ له اسمه مكنف، وبعثه النبي رسولاً له إلى أهل أيلة، وشهد قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد، يعد من الصحابة، ومن شعراء الحماسة، عاش إلى أيام مصعب بن الزبير، وقتله مبارزةً عبيدُ الله بنُ الحُرِّ الجعفيُّ سنة 60 ه. انظر ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة: 1/ 278. والأعلام لخير الدين الزركلي: 2/ 174. وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة: 2/ 47ـــ 48.
[36] ـ كتاب الردة للواقدي: 89 – 90.

أَلا أَبْلِـــغْ بَنِـــي أَسَـــدٍ جَمِيعًـــا	وَهَـذَا الْحَـيَّ مِـنْ غَطَفَـانَ قِيلِـي[37]
بـــأَنَّ طُلَيْحَـــةَ الْكَـــذَّابَ أَهْـــلٌ	لَحَـــاهُ اللَّـــهُ ـــ لِلْجَـــدْعِ الأَصِـــيلِ
دَعَـــاكُمْ للشَّـــــقا فَـــــأَجَبْتُمُوهُ	وَكُنْـــتُمْ فِـــي حَـــوَادِثِ شُـــرْحَبِيلِ
بِشَـــتْمِكُمُ أَبَـــا بَكْـــرٍ سَـــفَاهًا	وَقُلْـــتُمْ: **لا نُطِيـــعُ أَبَـــا الْفَصِـــيلِ**
مَتَـــى **نَغْـــزُوكُمُ** نَرْجِـــعْ بِنَهْـــبٍ	وَنَشْـــفِ الصَّـــدْرَ مِـــنْ دَاءِ الْغَلِيـــلِ
إلـــى أن تقبلـــوا الإســـلامَ كُرْهـــا	**بحَـــدِّ الـــرُّمحِ والسَّـــيفِ الصَّـــقيل**
وحتَّـــى تَـــدْعُوَ الأَحْيَـــاءُ طُـــرًّا	**أَبَـــا بَكْـــرٍ، أَبَـــا فَحْـــلِ الْفُحُـــولِ**

حَمِيَ وطيسُ الحربِ بين الفريقين، فلم يستطع طليحةُ الثَّباتَ، فولّى ـ لمّا رأى رَجَحانَ كفة جيش خالد ـ مُنْهَزماً بمَنْ معه مِنْ فَزَارَةَ، وَأَسَدٍ وَغَطَفَانَ، فَجَمَعَ خَالِدٌ غَنَائِمَ الْقَوْمِ، ووَكَّلَ بِهَا نفراً من المسلمين يحفظونَها، ثم خرج فِي طَلَبِ الفارّينَ من جيش طليحة، حَتَّى وَافَاهُمْ بباب الأجرب[38]، فاقْتَتَلُوا قِتَالا شَدِيدًا، أسفرَ عن أَسْرِ قائِدَيْ جيشِ طليحةَ، عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيّ، وقُرَّةَ بن هُبيرةَ السُّلَميِّ، وجَمَاعَة مِنْ بَنِي عَمِّهِ، وَأَفْلَتَ طُلَيْحَةُ، والتجأَ إِلَى بَنِي جَفْنَةَ في بلاد الشام، وَاسْتَجَارَ بِهِمْ، فَأَجَارُوهُ. أمّا خالدٌ فَجَمَعَ الأَسَارَى مِنْهم، ووجّه بهم مع الْغَنَائِمِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا جيىءَ بالأسارى إلى أبي بكر، يتقدَّمهم عُيينةُ وقُرَّةُ ،استعفوه فعفا عنهم جميعاً، وأحسنَ إليهم وكساهم، فلمّا علمَ طُليحةُ أنَّ أبا بكر قد عفا عمّن أسره من أتباعه ومُواليه، أرسلَ إليه أبياتاً أعلنَ فيها توبتَه، واعتذارَه عما كان منه: فقال، مِنَ الطَّوِيل:

نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَتْلِ ثَابِتٍ	وَعُكَّاشَـــةَ الْغُنْمِـــيِّ وَالْمَـــرْءِ مَعْبَـــدِ
وَتَـرْكِ بِـلادِي ـــ وَالْحَـوَادِثُ جَمَّـةٌ	طَرِيـــدًا، وَقَـــدِمًا كُنْـــتُ غَيْـــرَ مُطَـــرَّدِ
فَهَـلْ يَقْبَـلُ الصِّـدِّيقُ أَنِّـي مُرَاجِـعٌ	وَمُعْـطٍ لِمَـا أَحْـدَثْتُ مِـنْ حِـدْثِ يَـدِي

فَلَمَّا بلغَ شِعْرُهُ أَبا بَكْرٍ رَقَّ لَهُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ قد نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْه، ولكنَّ طليحةَ لم يستعجلِ الذَّهابَ إليه، إنما جَعَلَ يُقَدِّمُ فِي الرُّجُوعِ إِلَى المدينة رِجْلاً ويؤخرُ أخرى، إِلَى أَنْ تُوُفِّى أَبُو بَكْرٍ، وَاسْتُخْلِفَ عُمَرُ بن الخَطّابِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ تَائِبًا، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ قَطَبَ فِي وَجْهِهِ، وقَالَ له: كَيْفَ تَرْجُو النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وقدَ قَتَلْتَ ثَابِتَ بْنَ أَرْقَمَ الأَنْصَارِيَّ، وَعُكَّاشَةَ بنَ محصنٍ الأَسَدِيَّ، فأجابه طُلَيْحَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ذَلِكُمَا رَجُلانِ أَكْرَمَهُمَا اللَّهُ بالجنة، وساق إليهما الشَّهَادَةَ عَلَى يَدَيَّ، وَلَمْ يَقْتُلْنِي بِأَيْدِيهِمَا لأَكُونَ فِي النَّار[39]. فَأُعْجِبَ عُمَرُ بِمَقَالَتِهِ، فَقَرَّبَهُ منه وَأَدْنَاهُ، وَأَقَامَ طُلَيْحَةُ عِنْدَهُ عَزِيزاً مُكرَّماً، إِلَى أَنْ تَحَرَّكَتِ جحافلُ الفرسِ صوبَ العراقِ إرادةَ بسطِ سيطرتها عليه، فوجَّه عمرُ بطليحةَ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، ليكونَ أحدَ المقاتلينَ الأشدّاء في معركة القادسية، التي كانَ له دورٌ بارزٌ فيها، كما في معركة نهاوَند التي تلتْها[40]، والتي سقطَ فيها صريعاً، بعد أنْ قدَّم في المعركتين كلتيهما، ما يُدلُّ دلالةً بيِّنةً على ما تمتاز به شخصيّتُهُ من شجاعةٍ ورباطةِ جأش جعلا منه، عن جدارة، فارساً مِقداماً يُشارُ إليه بالبَنان.

فمن جملة ما يدلُّ دلالةً بيِّنةً على ما قام به طُليحةُ من أعمال بطولية في معركة القادسيّة؛ أنَّ "رُسْتُماً" كان قد جمع لهذه المعركة من الجنود نحواً من مائة وعشرين ألفاً، فوجَّه إليه عمرُ بن الخطّابِ سعدَ بن أبي وقاص على رأس جيش

---

[37] ـ قيلي وقولي بمعنىً واحد.

[38] ـ باب الأجرب: موضع من أعمال عُمَانَ بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السَّراة من ناحية الحجاز. معجم البلدان، ياقوت الحموي: 2/ 118.

[39] ـ ليس بمستَبْعَدٍ أن يكونَ طليحةُ قد ضمَّنَ هذا القول ما يشي بعدم إيمانه اليقيني بوجود الجنة والنار اللتين تُعَدّان من الأدبيات العقدية الراسخة في الديانات جميعها، ولا سيما العقيدة الإسلامية.

[40] ـ انظر ذلك في كتاب الردة للواقدي: 91ـ 102.

من اثني عشر ألفاً، فَلَمَّا دَنَا رُسْتُمُ، وَنَزَلَ النَّجَفَ بَعَثَ سَعْدٌ كلّاً من طليحةَ بن خويلد الأسدي، وعمرو بن معديكرب، ليستطلعا له خبرَ القوم، فَلَمْ يَسِيرا إلا فَرْسَخًا وبعضَ فرسخ، حَتَّى وجدوا جنود الفرس قد ملؤوا الأرضَ، فرجعَ عمرُو ليخبرَ سعداً بما رأى، ولكنَّ طليحة أَبَى إلا الانغماسَ في جيش الفرس والاطّلاعَ على حالهم عن كَثَبٍ، فدخلَ عَسْكَرَهم، وَبَاتَ فِيهِ حتى إذا أَدْبَرَ اللَّيْلُ، أَتَى أَفْضَلَ ما رآهُ من خيامهم، فَإِذَا فَرَسٌ لَمْ يَرَ فِي خَيْلِ الْقَوْمِ مِثْلَهُ، فَقَطَعَ مِقْوَدَهُ بسيفه، ثُمَّ ضَمَّهُ إِلَى مِقْوَدِ فَرَسِهِ، وخَرَجَ يَعْدُو بِهِ، فتداعى لرؤيته الناس، وخرجوا يطلبونه، فأدركه فَارِسٌ مِنَهم، فطعنه طليحةُ وأرداه قتيلاً، ثُمَّ لَحِقَ بِهِ آخَرُ، فَفَعَلَ بِهِ مِثْلَ ما فعل بصاحبه من قبل، ثُمَّ لَحِقَ بِه ثالثٌ، وَقَدْ رَأَى مَصْرَعَ صَاحِبَيْه، فَازْدَادَ حَنَقًا، فَلَمَّا لَحِقَ بِطُلَيْحَةَ، عَدَلَ طُلَيْحَةُ بفَرَسِهِ، وَكَرَّ على الفارسيّ، وَدَعَاهُ إِلَى الإِسَارِ، فَعَرَفَ الْفَارِسِيُّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ لا محالةَ، فَاسْتَسلم الفارسيُّ، وَأَمَرَهُ طُلَيْحَةُ أَنْ يَعْدُوَ بَيْنَ يديه، ففعل، وَأَقْبَلَ طُلَيْحَةُ به، حَتَّى دخلَ عَسْكَرَ المسلمينَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى سعدٍ، سأله: ما وراءكَ يا طليحةُ قَالَ: هَا هُوَ ذَا أسيري منهم، فَاسْتَخْبِرْهُ، فَأُقِيمَ التَّرْجُمَانُ بَيْنَ سَعْدٍ وَالْفَارِسِيِّ، فَقَالَ لَهُ الْفَارِسِيُّ الأسيرُ... لقد بَاشَرْتُ الْحُرُوبَ وَغَشِيتُهَا، وَسَمِعْتُ بِالأَبْطَالِ وَلَقِيتُهَا، مُنْذُ أَنَا غُلامٌ إِلَى يومنا هذا، فما رأيتُ أو سمعتُ، أَنَّ رَجُلاً قَطَعَ عَسْكَرَيْنِ لا يَجْتَرِئُ عَلَيْهِمَا الأَبْطَالُ، فَلَمْ يَرْضَ أَنْ يَخْرُجَ كَمَا دَخَلَ حَتَّى سَلَبَ فَارِسَ الْجُنْدِ، وَهَتَكَ أَطْنَابَ بَيْتِهِ، فَطَلَبْنَاهُ، فَأَدْرَكَهُ الأَوَّلُ وَهُوَ فَارِسُ النَّاسِ، فَقَتَلَهُ، فَأَدْرَكَهُ الثَّانِي وَهُوَ نَظِيرُهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَدْرَكْتُهُ، وَلا أَظُنُّ أَنَّنِي خَلَّفْتُ بَعْدِي فارساً يَعْدِلُنِي ...، فَلَمّا رَأَيْتُ الْمَوْتَ استسْلمتُ، فواللهِ لنْ تُهزَموا ما دامَ فيكم مثلُ هذا، وأسلمَ الرجلُ الفارسيُّ، فأسماهُ سعدٌ مسلماً، وألزمه طليحةَ ما بقيَ حيّاً[41].

ومن أخبار طُليحةَ في يوم "أرماث" ثاني أيام "القادسية" أنَّ بعض أصحاب الفِيَلةِ من الفرس حَمَلُوا على كتيبة "بَجِيْلَةَ" فنَفَرَتْ خيلُها وتفرَّقتْ، ولم يبقَ في أرض المعركة غيرُ الرَّجالةِ منهم، فَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى بَنِي أَسَدٍ: أنْ دافعوا عن أخوانكم "بَجِيلَةَ" وَمَنْ اجتمعَ إليها مِنَ النَّاسِ، فجمع طليحةُ كتيبةَ بني أسد، وخطب فيهم قائلاً: يا عشيرتاهُ، إنَّ الأميرَ لو علم أنَّ أحداً أحقُّ بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم. شُدُّوا على عدوِّكم، وأَقْدِمُوا إقدامَ اللّيوثِ؛ فإنما سُمِّيْتُمْ أَسَداً لتفعلوا فِعْلَهُ، كُرُّوا ولا تَفِرُّوا، ... فجعل الأسديّون يطعنون فِيَلَةَ الفرس، ويضربونها، حتى تحوَّلتْ عن بجيلةَ. وخرج إلى طليحةَ عظيمٌ منهم فبارزه، فما لبثَ طليحةُ أن قتله[42].

وقد تعدَّتْ صفاتُ طليحة حدَّ الشَّجاعة والجرأة على تقحُّم الأخطار والأهوال، إلى حدِّ حياكة الخُطط، والحِيَلِ الحربية التي لا تصدرُ إلا عن فارسٍ، حَنَكَتْهُ التَّجاربُ، وخَبَرَ فنونَ الحروب وأساليبها؛ فقد ذُكِرَ أنَّ مَنْ بقيَ من جنود الفرس بعد مقتلِ رستمَ في القادسية، ولُّوا وجوههم صوبَ "نهاوند"، وَاحْتَمَلُوا مَعَهُمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالدِّيبَاجَ وَالْفِرْنَدَ وَالْحَرِيرَ وَالسِّلاحَ وَثِيَابَ كِسْرَى وَبَنَاتَهُ، فأَمَدَّ عمرُ بن الخطاب سعدَ بن أبي وقاص في العراق بأهل المدينة من مهاجرين وأنصار، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنْ سِرْ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَتَبَ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ أَنْ سِرْ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ حَتَّى تَجْتَمِعُوا جَمِيعًا بِنَهَاوَنْدَ، ثمَّ أمَّر عليهم جميعاً النعمان بن مقرن المُزني، فلمّا صاروا على مقربة من الفرسِ تقدَّم جيش فارسَ كَأَنَّهُمْ جِبَالُ حَدِيدٍ، قَدْ تَوَاثَقُوا أَلا يَفِرُّوا مِنَ الْعَرَبِ، وقَرَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بالسَّلاسل، وَأَلْقَوْا حَسَكَ الْحَدِيدِ خَلْفَهُمْ، كيلا يستطيع أحدُهُمُ الفرار من أرض المعركة، فثبتوا، وكذلك ثبت العرب في وجههم، واستمرت الحرب سجالاً بين الفريقين يومين متتاليين، دخل الفرس بعدهما في خنادقهم، وصاروا لا يخرجون منها إلا إذا أرادوا، وطال ذلك على المسلمين، فتمنُّوا أن يناجزهم الفُرْسُ، فجعلوا يفكِّرون في طريقة يستخرجونهم بها من خنادقهم، ويستقدمونهم للقتال، فسأل النعمانُ رجالَه طريقةً لذلك، فاقترحَ عليه طليحةُ: أن يرسلَ إليهم رجالاً يرمونهم بالنَّبْلِ ليُنْشِبُوا القتالَ مُرغَمين، فأمر

[41]ــ انظر ذلك في تاريخ الطبري: 3/ 512– 514.
[42]ـ المصدر السابق: 539/3.

النعمانُ القعقاعَ بنَ عمرٍو، ففعل، وأنشب الفرسُ القتالَ، فلما خرج بعضهم من خنادقهم تراجع القعقاع، فلحق به الفرس، فأمعن القعقاعُ في التراجع وإظهار الهزيمة، فظنَّ الفرسُ في المسلمين الضّعف، فخرجوا حتى لم يبقَ منهم أحد في خندق، وأثخنوا في كتيبة القعقاع الجراح، والمسلمون في ذلك كله يستدرجونهم، ولمّا رأى النعمانُ أنَّ الفرسَ قد غادرتِ الحصونَ، كرَّ عليهم، وقتل منهم، في ذلك اليوم ما جعل أرض المعركة أشبه ببركة من الدماء، ولكنَّ فرسه زَلَقَتْ به، فوقع عنها صريعاً، وفَرَّ الفيرزانُ نحو هَمَذانَ، فلحق به كلٌّ من نعيم بن مقرن، والقعقاع بن عمرو الذي أدركه فقتله سنة 21هـ، ودخل المسلمون نهاوند بعد ذلك اليوم، وأخذوا ما وقعت عليه أيديهم من أموال وغنائم، جعلوا يقسمونها على الجنود، فبلغ نصيب الفارس من المسلمين ستة آلاف، والراجل ألفين، وأرسل نعيم بن مقرن بالأخماس إلى عمر ابن الخطاب في المدينة[43]. وبعدُ:

فربما بات واضحاً لنا من خلال ما أسلفنا أنَّ طليحة بن خويلد الأسدي كان عَلَماً في قومه قبل إسلامه، مُطاعاً فيهم، وسيِّداً من ساداتهم، وعندما دُعِيَ إلى الإسلام امتنع عن الدخول فيه ما استطاع إلى الامتناع سبيلاً، وبقيَ ثابتاً على موقفه هذا حتى أُسْقِطَ في يده، وخُيِّرَ بين سلامته مشفوعةً بإسلامه، أو لا إسلامِهِ مشفوعاً بالقتال إلى حين الدخول في الإسلام، فآثر لذلك السَّلامةَ المشفوعة بالإسلام، ولكنه أبى إلا أن يكون عَلَمَاً في المسلمين، مثلما كان عَلَماً في الجاهليّين قبل إسلامه، مستعيناً على تحقيق ذلك بما تمتع به من شجاعة، ورباطة جأشٍ، ورجاحة عقل، دفعته ـ كما سبين لنا ـ إلى أن يُدلي بدلوه في الميدان العَقَدي، ويقولَ في العقيدة الإسلامية الوليدة ما يمكن عدُّهُ أدبياتٍ عقديةً إسلاميةً، يرقى بعضُها إلى مستوى الاجتهاد الفقهي، أو القراءة الجديدة في عقيدةٍ لم ترسخ بعدُ في قلوب أو صدور المنتمين إليها لتوِّهِمْ.

بعض الأدبيات العَقَدِيَّةُ للقبائل بعامّة، وطليحةَ بن خويلد الأسدي بخاصّة

إنَّ ما ذكرتْهُ المصادر ممّا تُمكن تسميتُه بالمفردات الأدبية العقديّة، التي يمكنُ بالاستناد إليها تَلَمُّس معالم العقيدة التي كان عليها طُليحةُ ليست كثيرةً، ولكنها كافيةٌ لتحقيق الغاية من هذا البحث، متمثِّلةً بالبناء على ما وَصَلَنَا من أقوالِ هذا الرّجلِ وأفعاله مقتضاهُ وحسبُ، وتحميلِهِ ما يحتملُ من دلالاتٍ دونما زيادةٍ، أو نقصانٍ، ودونما تحاملٍ منّا على رجلٍ حاولَ أنْ يكونَ في مختلف مراحل حياتهِ أمامَ قومِه لا خلفَهم، معبِّراً عن مصالحهم بلسانه ويده، مدافعاً عنها، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وقائلاً في كلِّ مقامٍ وجدَ فيه نفسَهُ مقالاً ضمَّنهُ رأيَه في الموضوع واضحاً صريحاً لا مواربةَ فيه أو محاباةً، مقالاً لم يفارقْهُ السَّجْعُ الذي دلَّ طُليحةُ من خلاله على غِنِى قاموسِهِ اللغوي مَعْنىً ومَبْنىً. وقد رأينا أنْ نقدِّمَ لحديثنا عن طليحةَ عقديّاً بإثبات ما يتصل بالعقيدة من أفعال "أَسَد" وأخواتها من القبائل أوّلاً، ثمَّ من أقوال وأفعال طليحةَ ثانياً، لنأخذ بعد ذلك بمعالجة هذه المفردات معالجة تحليليةً تضعُ كلّاً من قبيلة "أسد"، وزعيمِها طليحةَ موضعَهما من العقائد الدينيّة بعامّة، والعقيدة الإسلاميّة منها بخاصّة.

المفردات الأدبية العقديّة الدّالة على موقف "أسد" وأخواتها من الديانة الإسلاميّة:

1. قالَ الْحَضْرَمِيُّ بْنُ عَامِرٍ الأَسَدِيُّ: **حينَ وصلنا الْخَبَرُ بِوَجَعِ النَّبِيّ، بَلَغَنَا أَنَّ مُسَيْلِمَةَ قَدْ غَلَبَ عَلَى الْيَمَامَةِ، وَأَنَّ الأَسْوَدَ العنسيَّ قَدْ غَلَبَ عَلَى الْيَمَنِ، وأنَّ طُلَيْحَةَ الأسديَّ قد ادّعى النُّبُوَّةَ، وعَظُم أمرُه لكثرةِ مَنْ التحق به من أَسَد وفزارة وغطفان وطيء، وغيرهم من الناس كثير**[44].

[43]ــ تاريخ الطبري: 4/ 129ـ 132.
44ـ تاريخ الطبري 3/ 186.

2ـ قال القاسمُ بنُ محمَّد:" لمّا **مات رسول الله، اجتمعتْ أَسَد وغطفانُ وطيّئ على طليحةَ، إلا ما كان من بعض الخواصِّ فِي القبائل الثلاث،... والتحق بهم ناسٌ... ضاقت بجموعهم الأرضُ**[45].

3ـ قال هشام بن عروةَ عن أبيه:" **لَمَّا مات رَسُول اللَّهِ ارتدَّتِ العربُ عَوامَّ أو خَوَاصَّ، وتوحَّى مسيلمةُ وطليحةُ، وغَلَظَ أمرُهما، واجتمع على طليحة عوامُّ طيّئ وأَسَد، وارتَّدتْ غَطَفَانُ...، وكذلك سائرُ النّاس بكلِّ مكان**[46].

4ـ قال أبو مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ: **ذاعَ خبرُ أنَّ الرسول قَدِ اشْتَكَى، بعد عودته من حجَّة الوداع، فَوَثَبَ الأَسْوَدُ بِالْيَمَنِ، وَمُسَيْلَمَةُ باليمامة، ثُمَّ وَثَبَ طُلَيْحَةُ فِي بِلادِ بَنِي أَسَدٍ**[47].

5ـ حدَّث هشام بن عروةَ عن أبيه، فقال:" لَمَّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ،... **ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، إِمَّا عَامَّةً وَإِمَّا خَاصَّةً فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ،... وَالْمُسْلِمُونَ كَالْغَنَمِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ الشاتيه، لفَقْدِ نبيِّهم، وَقِلَّتِهِمْ، وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ...**[48]".

6ـ حدَّث هشام بن عروةَ عن أبيه، قال:"**لَمَّا مات رَسُول اللَّهِ ...ارتَّدتِ العربُ عوامَّ أو خواصَّ، وتَوَحَّى مسيلمةُ وطليحةُ، فاستغلظ أمرهما، واجتمع على طليحة عوامُّ طيّئ وأَسَد، وارتّدتْ غَطَفَانُ، وخواصُ من الأفناء فبايعوه، وأمسكوا الصَّدقةَ، وارتدّت خواصُّ من بني سُليم، وكذلك سائر الناس بكل مكان**[49]".

7ـ روى هشام بن عروة عن أبيه، قال: وجّهَ أبو بكر عديَّ بن حاتم الطائيَّ لينصح قومَه بعدم التَّسرّع والالتحاق بطليحة، فجاءهم عَديٌّ، **ودعاهم إلى عدم الالتحاق بطليحة فقالوا له: إنّا ـ والله ـ لن نُبَايِعُ أَبَا الْفَصِيلِ أَبَدًا، فَأجابهم بقوله: استعدُّوا إذن لملاقاة قَوْمٍ سيرسِلُهم إليكم أبو فَحْلِ الفُحولِ، ليستبيحوا حَرِيمَكُمْ لا محالةَ، وَيجبروكم على تسميته بِالْفَحْلِ الأَكْبَرِ، لا بأبي الفصيل**[50].

8ـ حدَّث عبد السلام بن سويد قال: لَمَّا مات رسول الله قَامَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ فِي غَطَفَانَ، وقال :"**إِنِّي مُجَدِّدٌ الْحِلْفَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وبين بني أسد فِي الجاهليّة، وَمُتَابِعٌ طُلَيْحَةَ، وَاللَّهِ لأَنْ نَتَّبِعَ نَبِيًّا مِنَ الْحِلِيفَيْنِ، أسدٍ أو غطفانَ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَتَّبِعَ نَبِيًّا مِنْ قُرَيْشٍ**[51]"

9ـ حدَّث عبد السَّلام بن سُويد قال:" لمّا أجمعَ جمهور غَطَفَانَ، وطِيِّء، وأَسَدٍ، وفَزَارةَ، وغيرهم على تأييدِ طليحةَ والالتحاق به، هرب إلى أبي بكرٍ منهم كلٌّ مَنْ كانَ شديدَ الموالاة للرسول من قبلُ، ومن بينهم ضِرَارُ بن الأزور **الذي جاء إلى أبي بكر وأبلغه نبأَ التحاقِ النّاسِ بطُليحةَ، وبينما كان ضرارُ واقفاً بين يدي أبي بكر يبلِّغهُ الخبرَ قَدِمَتْ عَلَى أبي بكر وُفُودُ بَنِي أَسَدٍ وَغَطَفَانَ وَهَوَازِنَ وَطَيِّئٍ وسواهم، فَعَرَضُوا على أبي بكر الصَّلاةَ، مقابلَ أَنْ يُعْفَوْا مِنَ الزَّكَاةِ**[52]، **فأَبَى أبو بكر إلّا أخذ ما كان رسول الله يَأْخُذُ منهم، وَأَبَوْا، فرجعوا إِلَى عَشَائِرِهِمْ، وأبلغوهم رفضَ أبي بكر ما عرضوه عليه، وضرورةَ الاستعدادِ لحربٍ قادمةٍ معه لا محالة**[53].

45ـ المصدر السابق: 3/ 243.
46ـ المصدر السابق: 3/ 242. ،
47ـ المصدر السابق: 3/ 147.
48ـ المصدر السابق:3/ 225.
49ـ تاريخ الطبري:3/ 242.
50ـ المصدر السابق: 3/253.
51ـ المصدر السابق: 3/257.
52ـ مفردات فريضة الزكاة كما حدَّدها الرسول هي: خُمْسُ الله أولاً، ثم صدقةُ العَقار، وهي: عُشْرُ مَا سُقِيَ الْبَعْلُ، وَمَا سَقَتِ السماءُ، ونِصْفُ الْعُشْرِ مما سَقَى الْغَرْبُ، وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الإِبِلِ شَاتَانِ، وَفِي كُلِّ عِشْرِينَ مِنَ الإِبِلِ أَرْبَعُ شِيَاهٍ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقَرَةٌ، وفي كل أربعين مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةُ شَاةٍ، ... ومَنْ زَادَ على ذلك خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. تاريخ الطبري:3/ 121.
53ـ تاريخ الطبري:3/ 258.

10ـ جاء في تاريخ الطبري قوله:" قَدِمَتْ عَلَى أبي بكر بعد عشرة أيام من وفاة الرسول **وُفُودُ بَنِي أَسَدٍ وَغَطَفَانَ وَهَوَازِنَ وَطَيِّئٍ، وغيرهم... وَعَرَضُوا عليه الصَّلاةَ مقابلَ أَنْ يُعْفَوْا مِنَ الزَّكَاةِ، فأبى أبو بكر إلا أخذَ ما كان رسول الله يَأْخُذُ، وَأَبَوْا، فعادوا إِلَى عَشَائِرِهِمْ، وأخبروهم عدمَ موافقة أبي بكر على ما عرضوه عليه، وعزمَه على قتالهم إلى حين قبولهم صاغرينَ بدفع الزَّكاة**[54].

11ـ نزل عمرو بن العاص على قُرَّة بن هبيرة السُّلَميِّ ثمَّ القُشيريِّ[55]، فَذَبَحَ قُرَّةُ لَهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، فَلَمَّا أَرَادَ عمرُو الرِّحْلَةَ خَلا بِهِ قُرَّةُ، وَقَالَ له: **يَا عمرو، إِنَّ الْعَرَبَ لنَ تَطِيبَ لَكُمْ نَفْسًا حتى تعفوها من الزكاة، فَإِنْ أَنْتُمْ أَعْفَيْتُمُوهَا مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِهَا فَسَتَسْمَعْ لَكُمْ وَتُطِيعْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلا أَرَى أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَيْكُمْ فَقَالَ لهُ عَمْرٌو: أَكَفَرْتَ يَا قُرَّةُ! سنَرُدَّنَّكُمْ ـ واللهِ ـ إِلَى ما كنتم عليه، أَتُوَعِّدُنَا بِالْعَرَبِ وَتُخَوِّفُنَا بها يا قُرَّةُ! موعدُك حَفْشُ أمك، فو الله لأُوطِئَنَّ عَلَيْكَ الْخَيْلَ، ثمَّ أنشأ يقول من الكامل**[56]:

يَــا قَــرُّ إِنَّــكَ لا مَحَالَــةَ مَيِّــتٌ ... يَوْمًــا وَإِنَّــكَ بَعْــدَ مَوْتِــكَ رَاجِــعُ
إِنْ كَــانَ أَوْدَى بِــالنَّبِيِّ مُحَمَّــدٍ ... صَــلَّى الإِلَــهُ عَلَيْــهِ دَهْــرٌ فَــاجِعُ
فاللَّــه حَــيٌّ لا يَمُــوتُ وَدِينُنَــا ... دِيــنُ النَّبِــيِّ وَلِلرِّجَــالِ مَصَــارِعُ
لَــيْسَ الْخَلِيفَــةُ تَارِكًــا لِزَكَــاتِكُمْ ... مَــا دَامَ سَــلْعٌ فِــي الْبَسِــيطِ وَفَــارِعُ[57]
إِنَّ الَّتِــي مَنَّتْــكَ نَفْسُــكَ خَالِيًــا ... مِمَّــا تُؤَمِّلُــهُ سَــرَابٌ سَــاطِعُ
إِنْ تَمْنَعُوهَــا تَــأْتِكُمْ مَبْثُوثَــةً ... قَــبُّ الْبُطُــونِ مِــنَ الْفِجَــاجِ طَوَالِــعُ

ثمَّ قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وأخبره بما سمعه من قُرَّة[58].

قراءة فيما أثبتناه من أخبار:

ربما أمكننا بالاستناد إلى ما ذكرنا من مفرداتٍ أخباريّة الخلاصُ إلى جملة من النتائج، أبرزها:

1ـ إنَّ القبائلَ العربية كانت إلى الخروج من الإسلامِ أسرعَ منها إلى الدُّخول فيه؛ ذلك أنَّ دخولها في الإسلام قد أحوجَ الرسول ـ كما رأينا ـ إلى صراع طويل مع قريش سبق دخولَه مكَّة، ثمَّ أحوجَه ـ بعد دخوله مكَّة، وعودته إلى المدينة ـ إلى وفودٍ أرسلها إلى كلِّ قبيلة، يحمل كلٌّ منها كتاباً منه خلاصَتُهُ " أسلموا تسلموا"، أمّا خروجها من الإسلامِ فلمْ يُحْوِجها إلى أكثر من سماعها بنبأ مرضِ الرسولِ أو وفاتِه؛ الأمر الذي يعني أنها دخلت في الإسلام مُكْرَهةً، وخرجت منه مُختارَةً.

2ـ إنَّ الإسلام الذي دخل فيه الناس على قاعدة "أسلموا تسلموا" ثمَّ خرجوا منه فورَ شيوع خبر مرض الرسول أو وفاته، هو نظامُ حكمٍ، وليس عقيدة آمنوا بها، ودليلُ ذلك من القرآن نفسِه قول الله تعالى فيه:" "قالت الأعراب آمنّا، قل لم تؤمنوا، بل قولوا أسلمنا، ولم يدخل الإيمانُ قلوبكم[59]" فالقرآن يميز بوضوح بين الإيمان بالإسلام من جهةٍ ، والإسلام مُجرَّداً من الإيمان به، أو غير المشفوع بالإيمان به من جهة أخرى ؛ فالإسلام اللاعقديُّ، أو المجرَّدُ من الإيمان به هو

---

[54]ـ المصدر السابق:3/ 258.

[55] ـ التحق بطليحة مع عُيينة بن حصن الفزاري، ووقعا في الأسْرِ معاً، ولمّا أرسِلا إلى أبي بكر عفا عنهما، وأحسنَ إليهما. انظر المصدر السابق: 3/ 259ـ 260.

[56]ـ انظر الأبيات في كتاب الردة للواقدي:97.

[57]ـ سلع: جبل في المدينة، وقال الأزهري: سلع هو موضع بقرب المدينة، وسلع: جبل بديار هذيل. معجم البلدان، ياقوت الحموي: سَلَعَ، 236/3. فارع: اسم حصن بالمدينة. المصدر نفسه: فارع.

[58]ـ تاريخ الطبري:3/ 259.

[59]ـ الحجرات/14.

خضوعٌ لنظام الحكم في الدولة الإسلاميّة التي أسَّسها الرسول، كإسلام أبي سفيان، وجويرة، وخالد ابن أسد، وغيرهم ممّن جهروا بعدم إيمانهم بالإسلام الذي دخلوا فيه، ومن قبيل هذا الإسلام أيضاً إسلامُ بني الحارث بن كعب بنجران، وإسلام همدان، وبني أسد، وسواهم ممّن أسلموا بعد مواجهتهم بشعار"أسلموا تسلموا"؛ الأمر الذي يعني أنَّ خروج هذه القبائل من الإسلام لم يعْنِ ارتدادَها عن عقيدة أو دين، إنما عَنَى تمرُّدها على نظام الحكم في الدولة التي فرضت عليهم ما لم يروا فيه مصلحةً ماديّةً لهم. ودليل ذلك من الأخبار التي ذكرناها الأخبار الثلاثة الأخيرة التي نَصَّتْ على مطالبة وفودِ بَنِي أَسَدٍ وَغَطَفَانَ وَهَوَازِنَ وَطَيِّئٍ وغيرهم أبا بكر بإعفائهم من الزكاة مقابل قبولهم فريضة الصَّلاة؛ فقبولهم بالصَّلاة يعني قبولَهم بالإسلام ديناً، أو عَدَم اعتراضهم عليه على الأقل، أمّا رفضُهُمُ الزكاةَ ومطالبتهم بإعفائهم منها فيعني اعتراضَهم على نظام الحكم في الدولة الإسلاميّة، أو على القانون الاقتصادي فيها، لا على العقيدة التي يعتقدها حكّام هذه الدولة؛ لأنَّ هذه العقيدة ليست ممّا يعنيهم أو يُهِمُّهم في شيء، ما دامتْ لا تَمَسُّ مصالحهم، أو أموالَهم.

3ـ لقد عَدَّ أصحابُ الأمر في الدّولة الإسلامية، مُمَثَّلينَ بأبي بكر، امتناعَ الناس عن دفع الزَّكاةِ ارتداداً عن الدين، وغايتهم من ذلك شرعَنَةُ قتال هؤلاء الناس حتى قبولهم بدفع الزكاة؛ الأمر الذي يعني أنَّ أصحاب الأمر في الدولة الإسلامية لم يفصلوا بين الدّين والدّولة، فهما عندهم وجهان لعملة واحدة، أمّا القبائلُ التي خرجت ممّا أرغِمَتْ على الدخول فيه فلا ترى بأساً في بقائها على إسلامها، والامتناع عن دفع الزكاة، الأمر الذي يعني أنَّ الدولة الإسلاميّة بالنسبة إلى هذه القبائل شيءٌ، والدين أو العقيدة الإسلاميّة شيءٌ آخرُ سواها.

4ـ لقد دلَّت الأخبار التي أثبتناها على أنَّ فريضة الزكاة أو الصَّدقات هي التي بعثتِ الناس على الخروج من الإسلام، ولم تفدنا تلك الأخبار بما يدلُّ على أنَّ ثمَّة سبباً آخر دفعهم إلى ذلك، بآية أنَّ مطالبهم لمْ تتعدَّ حدَّ مطالبتِهم الخليفةَ إعفائهم من فريضة الزكاة، مقابل قبولهم بالصَّلاة وسواها من مقومات الدين، أو العقيدة.

5ـ من اللافتِ للنَّظر أنَّ خصومَ الرسول الذين ذكرتِ الأخبارُ أنهم تَوحُّوا أو ادّعوا النُّبُوَّة، كالأسود العنسي، وطليحة الأسدي، ومسيلمة بن حبيب، وغيرهم لم ينْكروا على محمد نُبوَّته، بل ذهبوا إلى أنهم أندادٌ ونُظَراءُ له في النُّبُوَّة التي لم يُجيزوا له احتكارَها لنفسه؛ الأمرُ الذي يعني أنّهم عَنُوا بالنُّبوَّة غيرَ ما نَفْهَمهُ نحنُ، أو غيرَ ما هو شائعٌ بين الناس من معانيها؛ فقد عَنوا بها ـ على ما يبدو لنا ـ الحِكْمَةَ، أو البصيرةَ الثاقبةَ التي تُمكِّنُ صاحبَها من استشراف الآتي، والنَّظرِ إلى الأشياءِ من عَلٍ. ودليلُ ذلك من الأخبار التي ذكرناها الخبرُ الثامن الذي جاء فيه أنَّ عُيينةَ بن حصنٍ الفَزاريَّ قال:"**وَاللَّهِ لأَنْ نَتَّبِعَ نَبِيًّا مِنَ الْحِلِيفَيْنِ: أسدٍ أو غطفانَ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَتَّبِعَ نَبِيًّا مِنْ قُرَيْشٍ**" ومعنى ذلك بوضوح أنَّ نُبُوَّة محمد في قريش لا تُلْغِي ـ من وجهة عُيينةَ ـ أو تنفي صِحَّةَ أو إمكانيّة نبوَّةِ طليحةَ في بني أسد، كما لا تنفي أو تُلْغي بالضَّرورة صحَّةَ نبوةِ مسيلمةَ في اليمامة، والأسود العنْسيّ في نجران، وسَجاح في بني تميم، فليس ثَمَّةَ ما يمنع أن يكون هؤلاء جميعاً أنبياءَ في أقوامهم؛ أي حكماءَ، مُلْهَمينَ من الله الرأيَ السَّديدَ، والسبيلَ الرَّشيد. والحقيقةُ أنَّه قد جاء عن الرسول نفسه ما يسوّغ تحميلَ لفظٍ أو مصطلح "النُّبُوَّة" هذا المعنى، بآيةِ أنَّ ابنةَ خالد بن سنان العبسيِّ قَدِمَتْ على الرسول، فبسط لها رداءَه، ونوَّهَ بأبيها قائلاً في مَلَأٍ من الناس حولَه: هذه ابنةُ نَبيٍّ ضَيَّعهُ قومُهُ[60]"، فإذا جازَ أن يكونَ خالد بن سنان نبيّاً، بحسب الرسول الكريم نفسِه، لا نرى ما يمنعُ إمكانيّةَ نبوة غيره، بناءً على تحْميلِ لفظة أو

[60]ـ قال الجاحظ: قدمَتْ ابنة خالد بن سنان العبسي على النبي فبسطَ لها رداءَه، وقال مُنَوِّهاً بأبيها: هذه ابنة نبي ضَيَّعه قومُه، ثمَّ تلا على مسامعها: قل هو الله أحد، الله الصَّمد...الخ، فقالت له: لقد كان أبي يتلو هذه السّورة. انظر الحيوان للجاحظ:497/4. وانظر ثمار القلوب، لأبي منصور الثَّعالبي: :573، الحديث رقم 943.

مصطلح "النُّبوة " معنى الحِكمة، وبُعْد النَّظر، ونفاذ البصيرة، والقدرةِ على استشراف الآتي، وسوى ذلك من معاني الفِطنة، والذَّكاء الحادِّ.

المفردات العقديّة الدّالة على موقف "طليحةَ" من العقائد بعامّة، والعقيدة الإسلاميّة بخاصّة:

1. جاء في الأخبار أنَّ الرسولَ ـ عندما بلغه نبأُ خروج طليحةَ عليه ـ وجَّه ضِرَارَ بْنَ الأَزْوَرِ مَدَداً لعُمَّالِهِ عَلَى بَنِي أَسَدٍ، وَأَمَرَهُمْ بِمقاتلة طليحة وأتباعه، فالتقى الجمعان بسَميراءَ التي نزل بها بنو أسد، فَأَشْجُّوا طُلَيْحَةَ وَأَخَافُوهُ، فارفضَّ كثيرٌ من أتباع طليحة عنه، **والتحقوا بضرار الذي ضربَ طليحةَ ضربةً أصابته، ولكنها لم تُحدِثْ فيه أثراً، فَشَاعَ فِي النَّاسِ أَنَّ طليحةَ نبيٌّ بحقٍّ، بآية أنَّ السِّلاحَ لا يَؤثِّرُ فِيه، فسارع الناس إلى الانشقاق عن ضرار، والالتحاقِ بطليحةَ الذي سُرعانَ ما عَظُمَ شأنُهُ، وَاسْتَطَارَ أَمْرُهُ، فورَ شيوع هذا الخبر فيهم**[61].

2. قال طليحةُ مُحَفِّزاً قومَه بني أسد على الثَّبات في مواجهة جيش خالد بن الوليد الذي أرسله أبو بكر لإرغامهم على العودة إلى الإسلام:" **يَا مَعْشَرَ بَنِي أَسَدٍ، لا يُهَوِّلَنَّكُمْ مَا قَدِ اجْتَمَعَ إِلَى خَالِدٍ مِنْ هَذَا الْجَيْشِ، فَإِنَّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَغُرُورٍ، وَقَدْ لَهِجُوا بهذه الصَّلاةِ التي يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بها مُحْسِنُونَ. أمّا أنا فَقَدْ أَتَانِي جِبْرِيلُ يُخْبِرُنِي عَنْ رَبِّي: أَنَّهُ لَيْسَ يَحْتَاجُ إِلَى تَعْفِيرِ وُجُوهِكُمْ، وَفَتْحِ أَدْبَارِكُمْ**[62]**، وَلا يُرِيدُ مِنْكُمْ رُكُوعًا وَلا سُجُودًا، وَلَكِنْ يُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَذْكُرُوهُ قِيَامًا وَقُعُودًا، فَانْظُرُوا أَنْ تَمْنَعُوا الْقَوْمَ أَمْوَالَكُمْ كَمَا مَنَعْتُمُوهَا فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ**[63]".

3. ذُكِرَ أنَّ أحد رجال طليحة وقع أسيراً في يد خالد بن الوليد، فقال له خالد: هلّا ذكرتَ لنا بعضَ ما كان يقوله طليحةُ لكم؟ فزعم الأسيرُ أنَّ طليحةَ قال لهم مرّةً: "**والحَمامِ واليَمامْ، والصّرَدِ**[64] **الصَّوَّامْ، لقد صُمْنَا قَبْلَكُمْ بأعوامْ، ولَيَبْلُغَنَّ مُلْكُنا العراقَ والشامْ**[65]".

4. قال جعفر بن راشد مُمازحاً طليحةَ وهم مقيمون على "نهاوند" استعداداً لدخولها: هل بقي من أعاجيبك شيء تنفعنا به؟ قال: فأخذ طليحةُ كِساءً، وتَقَنَّعَ به غيرَ كثيرٍ، ثم قال: "البيانَ البيانْ، غَنَمُ الدَّهْقانْ، في بستانْ، مكانَ أرونانْ". قال جعفر: فدخلنا البستان فوجدنا الغنم مسمنة[66].

6. طلب رجال طليحةَ منه إرسالَ مَنْ يتجسَّس لهم أخبار جيش خالد بن الوليد، فقال لهم:" :"**إِنْ بَعَثْتُمْ بِفَارِسَيْنِ بَطَلَيْنِ، عَلَى فَرَسَيْنِ عَتِيقَيْنِ أَدْهَمَيْنِ، أَغَرَّيْنِ مُحَجَّلِينِ، مِنْ بَنِي نَصْرِ بْنِ قُعَيْنٍ، أَتَيَاكُمْ مِنَ الْقَوْمِ بِعَيْنٍ**" . **فَقَالَ لَهُ بَعْضُهم: نَشْهَدُ أَنَّكَ لَنَبِيٌّ حَقًّا، فَلَيْسَ هَذَا الْكَلامُ إِلا مِنْ كَلامِ الأَنْبِيَاءِ**[67]، ولمّا أضرَّ العَطش برجاله، وهم في خِضَمِّ المعركة، جاءه منهم مَنْ قال له:"لقد أضرَّ بنا العَطَشُ يا أبا عامر، فهل مِنْ حيلةٍ لنا عندك؟ فأجابهم طُليحةُ بقوله:" **ارْكَبُوا عِلالا، فَاضْرِبُوا أَمْيَالا، وَجَاوِزُوا الرِّمَالا، وَشَارِفُوا الْجِبَالا، وَيَمِّمُوا التِّلالا، تَجِدُوا هُنَاكَ قِلالا**". فَرَكِبَ رجلٌ منهم فَرَسًا لِطُلَيْحَةَ يُقَالُ لَهُ "عِلالٌ"، وذهبَ إلى المكان الذي وَصَفَهُ طُلَيْحَةُ، فَإِذَا هُوَ بِمَاءٍ عَذْبٍ زُلالٍ، شَرِبَ مِنْهُ، وَمَلأَ سِقَاءً كَانَ مَعَهُ، ثُمَّ

---

[61]ـ تاريخ الطبري:3/ 256– 257.

[62]ـ تعفير الوجوه كنايةٌ عن السُّجود، وفتحُ الأدبار كناية عن الركوع.

[63]ـ كتاب الرِّدَّة للواقدي: 87.

[64]ـ الصُّرَدُ: من سباع الطير، أبقع ضَخْمُ الرأْس والمنقار، نَصِفُهُ أَبيض وَنَصِفُهُ أَسود، وَيُقَالُ لَهُ الأَخْطَب لِاخْتِلَافِ لَوْنَيْهِ، وأهل العراق يسمونه العقعق. لسان العرب/ صرد: 3/ 250.

[65]ـ تاريخ الطبري: 3/260.

[66]ـ المصدر السابق: 4/ 135.

[67]ـ كتاب الردة للواقدي: 87.

رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَخَبَّرَهُمْ بِذَلِكَ، فَمَضَوْا إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَاسْتَقَوْا، وَازْدَادُوا فِتْنَةً إِلَى فِتْنَتِهِمْ[68]؛ أي ازدادَ إيمانهم بنبوَّة طليحة.

قراءة فيما أثبتناه من مفردات متَّصلة بطليحة عقديّاً:

ربما أمكننا الخَلاصُ بالاستناد إلى ما أثبتناه من أخبار متصلة بطليحة عقدياً، إلى عدَّة نتائج، أبرزها:

1ـ إنَّ أتباعَ طليحةَ ومؤيِّديه هم مَنْ نسبوا النُّبوَّة إلى طليحة، أمّا طليحة نفسُه فلم يَدَّعِ النُّبوَّة بنفسه، ولكنّه لم ينفِها حينَ نُسِبتْ إليه، بل سعى إلى الاستثمار فيها، وتوظيفها، والإفادة من تجلّياتها فيه لتحقيق طموحاته الشَّخصيّة والقبلية.

2ـ إنَّ آيات النُّبُوَّة، أو قرائنَها التي استدلَّ بها جمهور تلك الحقبةِ من الزَّمن على نبوة طليحة كثيرةٌ ومتنوعة، كعدمِ قدرة السِّلاحِ على إحداث أثرٍ فيه، وكقوله من الكلام ما يستحسنونه إلى درجة نسبة قائله إلى الأنبياء، بدعوى أنَّ جمال هذا الكلام، وبلاغته لا يمكن أن تصدر عن إنسانٍ هو أقلُّ من نبي؛ لأنَّ الإنسانَ العاديَّ لا يستطيعُهُ؛ فقد مرَّ بنا أنَّ ضرارَ بن الأزور قد ضربَ طليحةَ ضربةً بسلاحِه، أصابته إصابة مُحْكَمةً، ولكنها لم تُحدث فيه أثراً، أو تُلْحِق به ضرراً، الأمر الذي أدّى إلى تَفَرُّقِ الناس عن ضرار على الفور، والالتحاق بطليحة، وشيوعِ خبر أنَّه نبيٌّ بحق، بآيةِ أنَّ السِّلاحَ أعجزُ عن التأثير فيه. وقد مرَّ بنا أيضاً أنَّ بعضاً من رجال طليحة طلبوا منه إرسالَ مَنْ يتجسَّسُ لهم أخبار جيش خالد بن الوليد، فقال طليحةُ لهم : **إِنْ بَعَثْتُمْ بِفَارِسَيْنِ بَطَلَيْنِ، عَلَى فَرَسَيْنِ عَتِيقَيْنِ أَدْهَمَيْنِ، أَغَرَّيْنِ مُحَجَّلِينِ، مِنْ بَنِي نَصْرِ بْنِ قُعَيْنٍ، أَتَيَاكُمْ مِنَ الْقَوْمِ بِعَيْنٍ**" . فَقَالَ لَهُ بَعْضُهم: **نَشْهَدُ أَنَّكَ لَنَبِيٌّ حَقًّا، فَلَيْسَ هَذَا الْكَلامُ إِلا مِنْ كَلامِ الأَنْبِيَاءِ.** ومرَّ بنا كذلك أنَّ العطشَ قد أضرَّ برجاله وهم في خِضَمِّ المعركة، فجاءه منهم مَنْ قال له:" لقد أضرَّ بنا العَطشُ يا أبا عامر، فهل مِنْ حيلةٍ لنا عندك؟ فأجابهم طُليحةُ بقوله:" **ارْكَبُوا عِلالا، فَاضْرِبُوا أَمْيَالا، وَجَاوِزُوا الرِّمَالا، وَشَارِفُوا الْجِبَالا، وَيَمِّمُوا التِّلالا، تَجِدُوا هُنَاكَ قِلالا**". فَرَكِبَ رجلٌ منهم فَرَسًا لِطُلَيْحَةَ يُقَالُ لَهُ "عِلالٌ"، وذهبَ إلى المكان الذي وَصَفَهُ طُلَيْحَةُ، فَإِذَا هُوَ بِمَاءٍ عَذْبٍ زُلالٍ، شَرِبَ مِنْهُ، وَمَلأَ سِقَاءً كَانَ مَعَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَخَبَّرَهُمْ بِذَلِكَ، فَمَضَوْا إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَاسْتَقَوْا، **وَازْدَادُوا فِتْنَةً إِلَى فِتْنَتِهِمْ**[69]**؛ أي ازدادَ إيمانهم بنبوَّة طليحة.** وخلاصة ذلك كلِّه أنَّ آيات نبوُّة طليحة أو غيره التي أخذ بها العرب كثيرةٌ إلى الدرجة التي تؤدي إلى إمكانيّة عدم قصْرِ النبوَّة في تلك المرحلة من الزَّمن على أحَدٍ بعينه، إنما ليس ثمّة ما يمنعُ ان تشيعَ النُّبوَّة في الناس.

3ـ لقد دلّ الخبر الثاني من الأخبار الستَّة الخاصّة بطليحة على عدمِ اعتراضه على فريضة الصَّلاة، ولكنه قال فيها ما يدلُ على عدم اقتناعه بطريقة تأديتها، فرأى أنْ ليسَ ثمّة ما يوجبُ حركتي السُّجود والركوع أثناء الصَّلاة، لأنَّ جوهرَ الصَّلاة، والمُرادَ منها هو ذكرُ الله، وهذا أمرٌ يستطيعه المرء في أيّة وضعيّة رأى نفسَه فيها؛ الأمر الذي يعني أنَّ المرء يستطيع ـ من وجهة نظر طليحة ـ تأدية فريضة الصَّلاة ـ إذا كان ماشياً، أو قاعداً، أو مستلقياً، أو سوى ذلك من وضعيّات يكون فيها. قال طليحةُ مُحَفِّزاً قومَه بني أسد على الثَّبات في مواجهة جيش خالد بن الوليد: يَا مَعْشَرَ بَنِي أَسَدٍ، لا يُهَوِّلَنَّكُمْ مَا قَدِ اجْتَمَعَ إِلَى خَالِدٍ مِنْ هَذَا الْجَيْشِ، فَإِنَّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَغُرُورٍ، **وَقَدْ لَهِجُوا بهذه الصَّلاةِ التي يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بها مُحْسِنُونَ.** أمّا أنا فَقَدْ أَتَانِي جِبْرِيلُ يُخْبِرُنِي عَنْ رَبِّي: **أَنَّهُ لَيْسَ يَحْتَاجُ إِلَى تَعْفِيرِ وُجُوهِكُمْ، وَفَتْحِ أَدْبَارِكُمْ**[70]**، وَلا يُرِيدُ مِنْكُمْ رُكُوعًا وَلا سُجُودًا، وَلَكِنْ يُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَذْكُرُوهُ قِيَامًا وَقُعُودًا**[71]. فطليحة لا يجدُ في سجودِ المرء غيرَ ما

---

[68] ـ المصدر السابق: 88.

[69] ـ المصدر السابق نفسُه.

[70] ـ تعفير الوجوه كنايةٌ عن السُّجود، وفتحُ الأدبار كناية عن الركوع والسجود معاً.

[71] ـ كتاب الرِّدَّة للواقدي: 87.

يؤدّي إلى تعفير وجهه، ولا يرى في ركوعه غيرَ ما يؤدي إلى فتح دُبُرِهِ، وما دامت الغاية من الصَّلاة ذكرُ الله، فليس ثمّةَ ما يضَّطرُّ المرءَ إلى ذكره مشفوعاً بهاتين الحركتين غير النافعتين في شيء من وجهة نظره. وقد لا نكونُ مجازفين إذا رأينا في هذا الرأي لطليحة اجتهاداً فقهيّاً عقديّاً، أصابَ فيه طُليحةُ أو أخطأ. **أمّا الذي يجعلنا نَعُدُّ رأيَ طليحةَ اجتهاداً فقهيّاً فهو معرفتنا بأنَّ طوائفَ إسلاميّة غير قليلة تصلّي دونما ركوعٍ أو سجود، وهي لم تفعلْ ذلك لو لم تقرأ الفقهَ الإسلاميَّ قراءةً تسوِّغُ الصلاةَ مجرَّدةً من حركتي الركوع والسجود هاتين.**

4- إنَّ معظم الأخبار التي أثبتناها، سواء في ذلك المتصل منها بالقبائل بعامّة، أو المتصل منها بطليحة بخاصّة، تؤكد أنَّ دخولِ الناس في الإسلام أفواجاً على قاعدة " أسلموا تسلموا"، قد أعقبه خروجُهُم منه أفواجاً على قاعدة رفض الزكاة، وقبول ما عداها من أدبيات العقيدة الإسلاميّة؛ لأنَّ إلزامَ هؤلاء الناس بدفع ثمرة أتعابهم، وبعض غلال أرزاقهم للآخر، بعث فيهم الإحساسَ بالتَّبعيّة، وربما العبوديّة لهذا الآخر، كائناً مَنْ كان، ولذلك رفضها الناسُ، وفي مقدِّمتهم طليحةُ، رفضاً تامّاً، فالزكاة هي الفريضة الماديّة الوحيدة، التي تقوم على تحصيل أموالٍ من شخص أو جماعة، وتسليمها لشخص أو جماعة أخرى، تتصرّف بها كيفما شاءت. أمّا الفرائض أو الأدبيات العقدية الأخرى من صلاة، وإيمانٍ بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وغيرها، فهي فرائض، أو أدبيات معنوية بحتة، ناهيكَ عن كونها غيرَ قابلةٍ للتَّحقق منها، ولذلك لمْ يُعِرْها طليحةُ وغيرُه ممّن خرجوا عن الإسلام اهتمامهم؛ وقد عبَّروا عن ذلك بوضوح تامٍ؛ فَقُرَّةُ بنُ هُبيرةَ، أحدُ أبرز قادة جيش طليحة، يُسْدِي ـ كما مرَّ بنا ـ إلى عمرو بن العاص نصيحةً مفادها أنَّ استقرار الدولة الإسلاميّة الوليدة لنْ يكونَ مُمْكناً إلّا بإعفاء القبائل من دفع الصَّدقات، أو زكاة الأموال. وطبيعيٌّ أن يكونَ طُليحة على رأس هؤلاء الرافضينَ بثباتٍ وإصرارٍ دفعَ زكاة الأموال، لقريش أو غير قريش؛ فقد مرَّ بنا ـ من قبلُ ـ قولُه مُحفِّزاً قومه على الامتناع عن دفع أموالهم لأحد:

بَنِـي أَسَـدٍ **لا تُطْعِمُـوا صَـدَقَاتِكُمْ** مَعَاشِـرَ حَـيٍّ مِـنْ لُـؤَيِّ بْـنِ غَالِـبِ
وحَـامُوا عَلَـى **أَمْـوَالِكُمْ** بِرِمَـاحِكُمْ وَبِالْخَيْـلِ تُـرْدِي وَالسُّـيُوفِ الْقَوَاضِـبِ[72]

وقد عقَّب طليحةُ على دعوة قومه إلى عدم الركوع والسُّجود أثناء الصَّلاة ـ بوصفها حركاتٍ جوفاءَ لا مُبرِّرَ لها ـ بدعوتهم إلى الامتناع عن دفع أموالهم لأحدٍ سواهم، بوصفهم أصحابَ الحقِّ الحصريِّ بهذه الأموال، فقال:" أَتَانِي جِبْرِيلُ يُخْبِرُنِي عَنْ رَبِّي: أَنَّهُ لَيْسَ يَحْتَاجُ إِلَى تَعْفِيرِ وُجُوهِكُمْ، وَفَتْحِ أَدْبَارِكُمْ،[73] وَلا يُرِيدُ مِنْكُمْ رُكُوعًا وَلا سُجُودًا، وَلَكِنْ يُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَذْكُرُوهُ قِيَامًا وَقُعُودًا، **فَانْظُرُوا أَنْ تَمْنَعُوا الْقَوْمَ أَمْوَالَكُمْ كَمَا مَنَعْتُمُوهَا فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ**[74]".

5- لم يُؤْثَرْ عن طُليحةَ ما يقدح في النَّص القرآني، بل لمْ يُؤْثَرْ عنه ـ فيما وصلنا من أخباره ـ أنه ذكرَ القرآن بحمدٍ أو ذمٍّ. وليس بمستَبْعَدٍ عندنا ألّا يكونَ طُليحةُ على معرفة بالقرآن تؤهِّلُه لقول شيء فيه، حمداً أو ذمّاً، ولكن وصلنا من أقواله ما يشي بأنَّه قد سمع من القرآن ما نستطيعُ تسميتَهُ بآياتِ القسم، كقولِه تعالى:" والعصر إنَّ الإنسانَ لفي خسر...الخ" أو :" والتّين والزيتون، وطور سنين، وهذا البلد الأمين،...الخ". فهذه الآياتُ، وما هو من قبيلها لم يجدْ فيها طليحةُ ـ كما يبدو لنا ـ أكثرَ من كلام أدبي مسجوع لا يختلفُ عن سجع كهّان الجاهليّة، ولذلك رأيناهْ يقول ما يعتقد أنّه شبيهٌ بها، من حيث نظمُها، واستهلالُها بالقسم، ولكنه لم يقدّم لكلامه، أو يعقِّبُ عليه، بادّعاء أنه كلامٌ مُضاءٍ لكلام القرآن. فقد ذكرنا من أخباره: أنَّ أحد رجاله وقع أسيراً في يد خالد بن الوليد، فقال له خالد: هلّا ذكرتَ لنا بعضَ ما كان

[72]ــ انظر البيتين في كتاب الردة للواقدي: 88.
[73]ـ تعفير الوجوه كنايةٌ عن السُّجود، وفتحُ الأدبار كناية عن الركوع.
[74]ـ كتاب الرِّدَّة للواقدي: 87.

يقوله طليحةُ لكم؟ فزعم الأسيرُ أنّه قد قال لهم مرّةً: "**والحمامِ واليَمامْ، والصّرَدِ الصَّوَّامْ، قد صُمْنَ قَبْلكُمْ بأعوامْ، لَيَبْلُغَنَّ مُلْكُنا العراقَ والشامْ**[75]". فجلُّ ما يمكن أن يُقالَ في هذا الكلام أنّه ـ على مستوى النَّظم ـ كلامٌ مسجوعٌ سجعاً مُتْقَناً، أمّا على صعيد معانيه، فليس فيه معنىً مرذولٌ على الإطلاق؛ إذ دلَّ فيه طُليحةُ على أنَّه، وأمثالَه من بني قومه، قد سبقوا المسلمينَ المحمَّديينَ[76] إلى ممارسة الصّيامِ تقرّباً لله، ودلَّ فيه أيضاً على أَمَلِه، بل ثقته بإحراز الغلبةِ على من يحكمونَ والعراقَ والشَّام، ممثَّلينِ بالفرس والروم. فكأنّا به يشير إلى ما أشار إليه القرآنُ بقوله:" **{غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدنَى ٱلأَرضِ، وَهُم مِّن بَعدِ غَلَبِهِم سَيَغلِبُونَ[77]}**

6ـ لقد دلّتْ بعضُ أقوال طليحةَ على إيمانه بالله إيماناً راسخاً؛ منها ـ على سبيل المثال ـ أنَّ عُيينةَ بن حِصْنٍ الفزاريَّ قالَ له يومَ كانَت الحربُ على أشُدِّها بينهم وبين خالد بن الوليد: هل جاءكَ جبريلُ بما يمكنُ أن تقوله لنا يا طُليحةُ؟ فقال طليحة له: لا، لم يأتني بعدُ، فكرَّ عُيينة على جيش خالد، وقاتل حتى بلغَ منه الجهد، فعاد إلى طليحة، وسأله مرَّةً أخرى: ألمْ يأتك جبريل بعدُ؟ فقال طليحة له: لا، فعاد عُيينةُ إلى القتال من جديد حتى بلغ منه الجهد أيضاً، فجاء إلى طليحة وسأله: ألمْ يأتك جبريل بشيء حتى الآن؟ فقال له: نعم، لقد جاءني، وقال لي:"**إن لك رحا كرحاه، وحديثاً لا تنساه**[78]"، فأوهنَ قولُه هذا عزيمةَ أتباعه، وولُّوا منهزمين. والذي يعنينا من هذا القول دلالته على إيمانِ طليحةَ ببعض الأدبيات الدينيّة بعامّة، والإسلاميّة منها بخاصّة، ممثَّلة تلك الأدبيات بالإيمان بالله، والملاكِ جبريل الذي يرسله الله إلى مَنْ يشاؤه من خلقه لإبلاغه أمراً ما. وربما كان جديراً بالذكر أنَّ طليحة قال هذا الكلام أثناء خروجه من الإسلام، الأمرُ الذي يعني أنَّ إيمانه بالله وجبريل ليس مُستفاداً من إسلامه، بل مُستفادٌ من عقيدة كانَ عليها في جاهليّته، ولا نعتقد أنها غيرُ العقيدة الحنيفيّة الإبراهيميّة، التي لمْ يُضِف إليها الإسلام شيئاً آخر سوى الإيمان بالنبوية المحمدية؛ إذ لو كان إيمانُ طليحةَ بالله وجبريل مستفاداً من إسلامه لَمَا ذكر أثناء رجوعه عن الإسلام ما يثبتُهما عليه.

مصادر البحث

1ـ القرآن الكريم.

2ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ت 852هـ، تح عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت ط1 /1415هـ.

3ـ الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي، ت 1396هـ، منشورات دار العلم للملايين، ط 2002/15م.

4ـ تاريخ الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري ت 310هـ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعارف في القاهرة، 1387هـ، 1967م.

5ـ ثمار القلوب في المُضاف والمنسوب، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ت 429هـ، منشورات دار المعارف في القاهرة، تاريخ النشر على موقع المكتبة الشاملة 8 ذو الحجة/ 1431هـ.

6ـ الحيوان، أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ ت 255هـ، منشورات دار الكتب العلمية ببيروت، ط2 1424هـ، تاريخ النشر على موقع المكتبة الشاملة 8 ذو الحجة 1431هـ.

7ـ الشعر والشعراء، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت 276هـ، منشورات دار الحديث بالقاهرة 1423هـ. تاريخ النشر على موقع المكتبة الشاملة 8 ذو الحجة 1431هـ.

[75]ـ تاريخ الطبري: 3/ 260.

[76]ـ نعني بهؤلاء الأحناف الإبراهيميين الذين سمّاهم القرآن مسلمين في آيات كثيرة منه.

[77]ـ الروم/ 1ـ 3.

[78]ـ تارخ الطبري:3/ 256.

8. الكامل في التاريخ، عز الدين بن الأثير، ت 630هـ، تح عمر عبد السلام تدمري، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت 1417هـ، 1997م، تاريخ النشر على موقع المكتبة الشاملة 8 ذو الحجة، 1431هـ.

9. كتاب الردّة، أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ت 207هـ، تح يحيى الجبوري، منشورات دار الغرب الإسلامي/ بيروت ط1، 1410هـ، 1990م. تاريخ النشر على موقع المكتبة الشاملة 8 ذو الحجة 1431هـ.

10. لسان العرب، ابن منظور ت 711هـ، منشورات دار صادر/ بيروت ط3 1414هـ. تاريخ النشر على موقع المكتبة الشاملة 8 ذو الحجة 1431هـ.

11. معجم البلدان، ياقوت الحموي ت 626هـ، منشورات دار صادر/ بيروت ط2، 1995م، تاريخ النشر على موقع الكتبة الشاملة 1431هـ.

Research sources

1. The Holy Qur'an.
2. Al-A'lam, Khair al-Din al-Zirakli al-Dimashqi, d. 1396 AH, Dar al-Ilm Publications for Millions, 15th edition/2002 AD.
3. -Al-Isaba fi Tamayyis al-Sahaba, Ibn Hajar al-Asqalani, d. 852 AH, edited by Adel Abd al-Mawjoud, and Ali Muhammad Moawad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah publications, Beirut, 1st edition/1415 AH.
4. History of Al-Tabari, Abu Jaafar, Muhammad bin Jarir Al-Tabari, d. 310 AH, edited by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Ma'arif publications in Cairo, 1387 AH, 1967 AD.
5. The fruits of hearts in the noun and the noun, Abu Mansour, Abd al-Malik bin Muhammad bin Ismail al-Tha'alabi, d. 429 AH, Dar al-Ma'arif publications in Cairo, date of publication on the comprehensive library website 8 Dhu al-Hijjah / 1431 AH.
6. Al-Hay'ah, Abu Othman, Amr bin Bahr Al-Jahiz, d. 255 AH, Publications of Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya in Beirut, 2nd edition 1424 AH, date of publication on the comprehensive library website, Dhu al-Hijjah 8, 1431 AH.
7. Poetry and Poets, Abu Muhammad, Abdullah bin Muslim bin Qutaybah Al-Dinouri, d. 276 AH, Dar Al-Hadith Publications, Cairo, 1423 AH. Publication date on the comprehensive library website: 8 Dhu al-Hijjah 1431 AH.
8. Al-Kamil fi al-Tarikh, Izz al-Din ibn al-Atheer, d. 630 AH, edited by Omar Abd al-Salam Tadmuri, Publications of Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut 1417 AH, 1997 AD, date of publication on the comprehensive library website 8 Dhu al-Hijjah, 1431 AH.
9. The Book of Apostasy, Abu Abdullah Muhammad bin Omar Al-Waqidi, d. 207 AH, edited by Yahya Al-Jubouri, Dar Al-Gharb Al-Islami Publications / Beirut, 1st edition, 1410 AH, 1990 AD. Publication date on the comprehensive library website: 8 Dhu al-Hijjah 1431 AH.
10. Lisan al-Arab, Ibn Manzur, d. 711 AH, Dar Sader Publications, Beirut, 3rd edition, 1414 AH. Publication date on the comprehensive library website: 8 Dhu al-Hijjah 1431 AH.
11. Mu'jam al-Buldan, Yaqut al-Hamawi, d. 626 AH, Dar Sader Publications, Beirut, 2nd edition, 1995 AD, date of publication on the Kutub al-Shamil website 1431 AH.